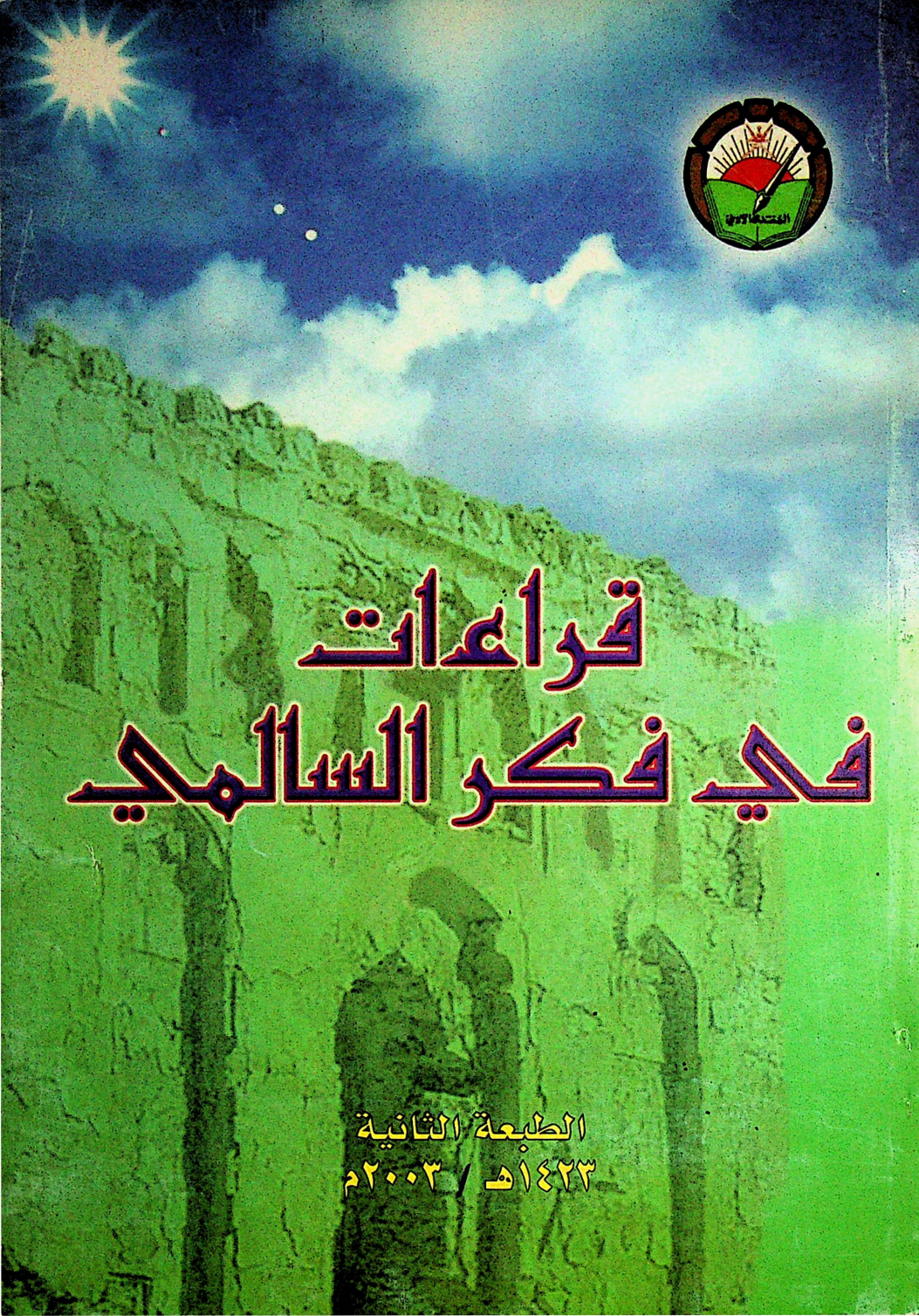
قراءات
في فكر السالمي
الطبعة الثانية
١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م

قراءات في فكر السالمي

حصاد الندوة التي أقامها المنتدي الأدبي

في الفترة من ٤ ـ ٥ ربيع الأخر ١٤١٣هـ / الموافق ١ ـ ٢ نوفمبر ١٩٩٢م

الطبعة الثانية
١٤٢٣ / ٢٠٠٣م

«بسم الله الرحمن الرحيم»

كلمة

معالي الشيخ/ محمد بن عبدالله بن زاهر الهنائى

«وزير الزراعة والثروة السمكيه ، راعى الندوة».

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الهادى الامين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اصحاب المعالي ... اصحاب السعادة ... العلماء الاجلاء ... اسرة المحتفى به ... ايها الحضور الكريم ...

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : اما بعد ...

فانه لمن دواعي السرور أن نجتمع لنحتفى بتكريم علمائنا ونعترف لهم بالفضل لما قدموه من فكر وعلم أنار لنا الطريق وأرشدنا الى سبل الصلاح ، حيث مكنهم حسهم الفائق من أن يروا فى حياتهم ذلك المستقبل الذى عملوا من أجله نبراسا لأجيالهم اللاحقة ومنارة فكر يهتدى بها من بعدهم لاصلاح مجتمعاتهم على نهج ترعاه الهداية وتقومه العقيدة.

ولقد افرزت كل مرحلة من مراحل التطور التاريخى ثقافتها التي تعبر عنها وفكرها الذي يرسم طريق الامم وينير معالمها ... وقد كان الشيخ السالمي المحتفى بتكريمه أحد الاعلام البارزين فى رسم معالم الفكر العماني لتلك المرحلة والمراحل التى تلتها ولا نزال نترسم نتاجه الفقهي وربي اجيالنا على مناهجه.

ويعتبر الفكر اللبنة الاولى للتأسيسات الحضارية والمعين الذى يغذي المجتمع لاجيال متلاحقة مؤهلة لأن تلعب دوراً ساسياً فى البناء الحضاري والرقي بالانسان وهو السمة التى اتسم بها

العمانيون من بداياتهم الاولى لتأسيس عمان وتأهيلها لتلعب ادوارها التاريخية عبر الحقب الماضية.

ان تكريم أعلام الفكر والعلم سمة حضارية ولفتة كريمة لابد من الوقوف عندها والحث على استمراريتها وهى منهاج صحيح لتعريف مجتمعنا بحضارته وفكره وأجياله وتراثه وأدبه وجذوره الاولى وهو يستعد لدخول بوابة القرن الحادي والعشرين متكئا على ماضيه المشرق ليصنع مستقبله المضيء.

ان مناسبة كهذه تتيح لنا الفرصة لقراءة التاريخ العماني ، ماضيه وحاضره في شتى المراحل والحقب، وكل قراءة تعتبر اضافة جديدة لمسيرتنا نحتاج إلى التوقف عندها لناخذ منها فكرها ومعرفتها وحكمتها.

ونحن اذ نحتفي بتكريم العلامة الشيخ/ نور الدين السالمي ـ طيب الله ثراه ـ فاننا نرجو أن يكون على القائمة عدد من العلماء الاخرين في طريقهم للتكريم.

وفقنا الله لما فيه الخير والصلاح ، وبارك لعمان في باعث مجدها العظيم وراعي حاضرها السعيد وباني مستقبلها المشرق حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد سلطان عمان.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .....

كلمة سعادة
رئيس المنتدى

الحمد لله العليّ مكانُه ... المنير برهـانُه ... واشهدُ أن لا اله الا الله ... وان محمداً رسول الله وبعد .....

معالي الشيـخ محمد بن عبـدالله بن زاهر الهنـائي وزير الـزراعة والثروة السمكية راعي الندوة ...

اصحاب السمو والمعالي ... اصحاب السعادة ...

اسرة المحتفى بذكراه ... ايها الجمع الكريم ...

إنه لمن يمُن الطالع أن يأتي احتفـالنا الثقافي هذا بذكـرى العلامة المحقق نور الدين السالمي ، ونحن نعيش هذه الأيام فرحتنا الكبرى بالعيـد الوطنـي الثانى والعشرين المجيـد ، بروح وثـابة تغمـرها طموحات الثقة والامل ، فكل أحلامنا الجميلة التى صورتها بالامس نهضة قـابوس المبـاركة أضحت واقعاً ملمـوساً تسري في نفـوسنا كالندى الشذي يلامس أغصـان الاشجار العطشى لتدب في أوصالها روح الحياة فتمرح وتخضل.

معالى الشيـخ محمد بن عبـدالله بن زاهر الهنـائي وزير الـزراعة والثروة السمكية راعي حفلنا الثقافي هذا ... اصحاب السمو والمعالي ... اصحـاب السعـادة ... اسرة المحتفى بـذكـراه ... أيها الحضـور الأفاضل ...

وانه لا يخفى للعيان أننـا قطعنا ـ والحمد لله ـ شوطاً أكبر من ذلك ، حينما اضحت النهضة العمانية المعاصرة نمـوذجاً فذا للوجه الجميل الحسن ، بين ابناء امتنـا واصدقـائنا ، وكما يعلم الجميع ،

فان مسئولية هذا النموذج تتعاظم كل يوم على كواهلنا ، بقدر الآمال المعقودة على أبناء هذه الامة ، كما جاءت تجربتنا الديمقراطية في مجلس الشورى ، وعلاقاتنا الودية والمتميزة مع الجوار ، لتؤكد على اصرار القائد المفدى جلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم على دعم هذه التجارب لتكلل بكل مقاييس النجاح ومفاهيمه، في إطار نهضة علمية تقنية ، تتميز بطابع اعلامي قادر على الاحاطة بالمكان بأبعاده الشاسعة ، وبالزمان في أدق لحظاته ... نهضة تضع على قائمة أولوياتها بناء الانسان العماني القادر على إدراك النتائج المترتبة على سلوكه وتصرفاته ليعرف كيف يتصرف بحسب الأولويات ، وكيف ينهض بواجبه بالتضامن من أجل تحقيق الرخاء والرفاء لمجتمعه ولأمته .

معالي الشيخ محمد بن عبدالله بن زاهر الهنائي وزير الزراعة والثروة السمكية راعي ندوتنا المباركة هذه ... اصحاب السمو والمعالي ... اصحاب السعادة ... اسرة المحتفى بذكراه ... أيها الحضور الأفاضل واننا إذا كنا ندرك أن عصرنا هذا هو عصر تفجر المعارف الانسانية ، واننا في السلطنة نعي تماماً ما يدور حولنا فان أمرا مثل هذا وذاك يجب أن يدفعنا بصدق إلى أن نكرم من سبقونا من أعلام الفكر والانسانية ، حين صاغوا لنا بجهودهم الخلاقة نسيجاً تراثياً نظموه في قلائد تراث حضاري مشرق ، راجين أن يكون التكريم ليس احتفاء فحسب بمقدار ما هو وقفة تأمّل ومراجعة للنفس نتعرف من خلالها أين نقف وكيف نخطط في انطلاقتنا للمستقبل؟

معالى الشيخ محمد بن عبدالله بن زاهر الهنائي وزير الزراعة والثروة السمكية راعي الندوة ... اصحاب السمو والمعالي ... اصحاب السعادة ... اسرة الحتفى بذكراه ... ايها الجمع الكريم .

لقد كان المرحوم السالمي وأقرانه من علماء عمان يؤمنون أن التاريخ لا يرضى للعلماء الزلل والسقوط في حنايا المتاهات ... بل يريدهم أن يكونوا منزهين فوق كل الشبهات جريئين مصداقين لا يتراجعون عن قول الحق مهما كان الثمن . فاذا زلت أقدامهم فتلك جريرة مابعدها جريرة ، وموقف ما بعده موقف ... فانصرفوا عن الدنيا ... وأقبلوا على الأخرى ... وكانت علاقتهم بين هذه وتلك كمن يعد العدة للرحيل من دار فانية إلى أخرى باقية ... والسالمي الذي نحتفل بذكراه لخير مثال على هذا النموذج من العلماء العمانيين ، فقد كان ـ يرحمه الله ـ ... مبارك الطلعة وقوراً نبيلاً مهيباً انصرف إلى العلوم الدينية والفقهيه واللغويه ، فامتطى صهوتها ، ولانت له عريكتها برع فيها ونال شهرة عظيمة ... لم يؤثر عنه الا العفة ... حمل نفسه على المركب الخشن ، إيثاراً للمروءة ... والتزم هذا الخلق منذ يفاعته ...

فلا هدنة مع المنكر ... ولا تهاون في تطبيق حدود الشرع ... كان ـ يرحمه الله ـ كما كان علماؤنا طرازاً خاصاً من الناس في نقاوة قلوبهم وطيب سريرتهم ، ومحبتهم للخير ، واستعدادهم الفطرى لمساعدة كل محتاج ... يكرهون التعصب والجمود ويؤمنون بأن الثقافات في تجدد وتلاحم ... وان العلم يأتي بالجديد مع كل لحظة.

وإنني في ختام كلمتى هذه لأرجو الله أن نكون في هذه التظاهرة العلمية قد حققنا الهدف ورددنا جزءاً من جميل طالما طوق اعناقنا كما يسعدنى في ختام كلمتي هذه أيضاً أن أتوجه بالشكر لمعالي الشيخ محمد بن عبدالله بن زاهر الهنائى وزير الزراعة والثروة السمكية الذي تفضل برعاية هذا الحفل التكريمي ... كما اخص بالتقدير الجهود المتواصلة التى يقوم بها صاحب السمو السيد فيصل بن علي بن فيصل آل سعيد وزير التراث القومي والثقافة في

رسم معالم الطريق أمام المنتدى الادبي ، وتسديد خطواته بتعليماته القيمة ، وملاحظاته الدقيقة ... واتوجه بالشكر الى سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي مفتي عام السلطنة على اضاءته التي يشارك فيها ضمن هذا الملتقى الفكري ، وأرحب بضيوف المنتدى الأفاضل فضيلة القاضي اسماعيل بن علي الاكوع من اليمن وفضيلة الشيخ ناصر بن محمد المرموري من الجزائر والدكتور احمد درويش من جمهورية مصر العربية ، ويبقى السالمي علامة مضيئة في دروب الفكر العماني ونجماً يتألق في سماء المعرفة ، وتبقى مؤلفاته مصدر اعجاب المفكرين من دارسين وباحثين ومحققين ، ويبقى ـ رحمه الله ـ الى ماشاء الله المعلم المرشد ، والمؤمن المدرك والمؤرخ الموثق ، وختاماً أدعو الله ـ جلت قدرته ـ أن يجعلنا ممن قال فيهم وهو أصدق القائلين ... بسم الله الرحمن الرحيم :

(وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين)

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة

الشيخ / سليمان بن محمد السالمي

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وأشهد أن لا إله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ .

قال الله تعالى ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه﴾.

وأكبر فخر لي بأنك لي أب وأعظم نعت لي بقولك ذا ابني

أبي واذا ما قلته فكأنما أنادي وأدعو ياملاذي أياركني

لقد كان ـ رحمه الله ـ من الذين قطعوا علائق الشهوات وأسرجوا مراكب المجد بصدق العزمات واتجهوا الى الله بصالح العمل واخلاص النية. وتوسلوا اليه بصفاء القلب وصدق الطوية . فمروا بالخضرة الفاتنة مسبحين. وعن الحطب اللاهب مستعيذين. فلم يعبأوا بالعقبات، ولم يلتفتوا الى المغريات. صانوا وجوههم عن الابتذال وطهروا أقدامهم من الأوحال . استعانوا بالله على صعوبة الطريق. فذلل لهم صعابه، وعلى بُعده فلملم لهم رحابه. فلما اجتازوا الصعاب سألوا الله فتح الباب. فلما استطابوا المقام بعد حلول السرى قالوا : الحمد لله الذي صدقنا وعده. أولئك أحباء الله صدقوه العهد فصدقهم الوعد ومحضوه الحب فمنحهم القرب.

من آنست نفسه بالله لم يجد لذة في الأنس بغيره.

ومن أشرق قلبه بالنور لم يعد فيه متسع للظلام.

ومن سمت روحه بالتقوى لم يرض الا سكنى السماء.

ومن أحب معالي الأمور لم يجد مستقراً إلا في الجنة.

ومن أحب العظماء لم يقنعه إلا أن يكون مع محمد ﷺ.

و من أدرك أسرار الحياة لايرى جديراً بالحب إلا الله.

ان فقيدنا الكبير أجزل الله ثوابه وأعلى عنده مقامه ـ رحمه الله ـ كان شديد التحسس لأمراض مجتمعه ، مدركاً لكبرى مشكلاته متابعاً بعقله وقلبه لأهم قضاياه السياسية والاجتماعية منذ أن كان طالباً للعلم حتى آخر أيام حياته. وكان وعيه الاجتماعي يزداد مع مرور الأيام قوةً وعمقاً وفهماً واستيعاباً.

لقد كان شديد التحسس لما يهدد المجتمع الاسلامي في بلادنا العربية وفي غيرها من غزو عقائدي، وما يدور في البيئات المثقفة من شُبه حول الإسلام . ومن افتراءات وتشويهات دسها المستعمرون والأعداء ، وكان يشعر بمرارة ما ران على المجتمع منذ عصور من مظالم اجتماعية تتحمل وطأتها الكثرة الكاثرة من جماهير الشعب الساذج المؤمن ، الذي كان واحداً من أفراده. وماكان عليه العرب في عصره من تبعية لغيرهم والائتمار بأمرهم، وارتسمت في ذهنه صورة واضحة لكبرى مشكلاتنا الإجتماعية والفكرية والسياسية.

فانطلق يعالجها بثقافته الاسلامية الواسعة، وحسن فقهه الدين. وبحسه المرهف وإخلاصه الشديد، وخبرته التي دونها كل عاطفة من عواطفه. فعالجها بعمله الدائب ونضاله المستمر في جميع الميادين السياسية والفكرية والاجتماعية بحماسة نادرة وجرأة لاتعرف حداً، واخلاص شديد وصدق واضح، وصراحة لاتعرف المجاملة.

ومن هنا كانت الخصومات حوله من وجهة النظر وطريق الإصلاح في أسلوب العمل، أو نقصان الوعي لمشكلات الحياة والبعد عن فهمها.

كان ـ رحمه الله ـ فاهماً للاسلام أحسن الفهم ، مدركاً لمراميه ومقاصده عارفاً من خلال اطلاعه على الكتاب والسنة والآراء

الفقهيـة لأهداف الشريعـة. فأزال بحكمته مـا كان في الـواقع بين الـدين والحياة من جفـاء وبُعد. وإنَّ الـدين ليس مقالـة تكتب في كتاب أو كلمة تلقى في الجماهير، أو مجلـة تنشر فترمى بالطريق، أو منحصراً في فئـة صغيرة محدودة لاتصـدر منهـا الا التأوهـات والحسرات .. إن الدين من حقه أن تكـون هذه الجماهير تشارك في طـريق دينهـا لتسيير العمل لصالح الإسـلام لأنـه منـاط عزهـا وسبب سعادتها.

لم يكن ـ رحمه الله ـ درس في مدرسة منتظمة ولا ممن درسوا في الجامعات الأوربية بل كان رائداً من رواد الفكـر والمعرفة وباعث نهضة وأستاذ جيل، ومُنشىء رعيل، ومـؤلفاً كبيراً ومنتجاً عظيماً وعالمـاً باحثاً ينظم ذلك كله في فكـرة واحدة حملها في عقله وقلبه ونفسه ، وجميع مشاعره. وهي: الـدعوة الى الإسلام، ورسالته في الحيـاة كلهـا وهي الـدعـوة الى الله. لم يستغل الـدين في سبيل السياسة. بل جعل السيـاسة خادماً للدين محققاً لأهـدافه النبيلة، ووسيلـة لخدمـة أمتـه وتحريـر العقـول من الشرور والمفـاسـد والمظالم ، في غير تهور ولا جمود ، فالتهور منقود والجمود مفقود ، وخير الأمور أوسطها.

ولم يكن مقلداً ولا متبعاً إلا الحق. كـان يؤمن أن من حق العقل أن يبحث ويـدرس ومن حق المجتمع أن يبحث ويـدرس. ومن حق الإنسـانية على عقـل العالم أن يبحث وأن يمتص ذلـك الرضـاب الكريم من تشريعات رب العالمين. ثم يقدمها جَنىً شهياً فيه شفاء العقول والقلوب.

ولم يكن خائفـاً ولا جباناً ولا رِعديـداً، وإنما واجه الناس بما يـؤمن به أنـه الحق وأن فيـه الخَير. إيمانا منـه بكـرامة الكلمـة وكرامة الإنسان لايهمه أن يغضب النـاس أو يرضون. انما هدفه أن يرضي الحـق ـ تعـالى ـ وأن يكـون الإسـلام قاهـراً لا مقهوراً.

ليس في الإسلام ولا في التشريعات الإسلامية ولا الفقه الإسلامي العيب. إنما العيب في عقول تقف حجرة جامدة في حق الوطن. فتغلق دونه الأبواب وتضيق حوله الرحاب وتثير في وجه الباحثين التراب . حتى يكون الإسلام لايتحرك ، مع أن الإسلام دين الحياة منذ كان وسيظل دينها في كل زمان ومكان إلى أن تطوى الأرض ومن عليها وماكان الإسلام أن يواجه الحياة إلا اذا كان متجدداً بحيويته وقوته وسحره وجماله. وصلاحيته حاملة له عقول راجحة فاهمة وزنه. أخلصت دينها لله وأخلصت للحق وجاهدت من أجل أن تجعل هذا الدين مدداً للإنسان في حياته وأن تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى.

ولئن آثره الله الى جواره بعد أن أدى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده. فإنه سيبقى أبد الدهر ملء قلوب الأجيال وعقولها تحفزها ذكراه للمضي في طريق الإسلام العظيم . وان المشعل الذي أوقده ـ رحمه الله ـ من نور عقله وقلبه وروحه سيبقى مناراً هادياً لها الى أن تصل الى أهدافهاأو تستشهد دونها في سبيل الله.

لقد همَّ كثيرون أن يستأنفوا السير على آثارك. فان نجحوا فقد تعلموا ممن عرفت أن تعلمهم إياه. وإن لم ينجحوا فقد أدوا القسط الذي يطيقونه.

فعليك رحمة الله ورضوانه. لقد عشت للإسلام في أوضح معانيه وعملت للإسلام في أحلك زمانه في هجوم عليه من الاستعمار ومن الفساد الاجتماعي في الداخل والخارج وكنت تريد أن تهذب المسلمين وأن تدفع عنهم كيد خصومهم وعداوة أنفسهم لأنفسهم.

وسلام عليك حياً وميتاً. والسلام.

منهج السالمي
« في مؤلفاته الفقهية »

محاضرة سماحة الشيخ / أحمد بن حمد الخليلي
مفتي عام السلطنة

بسم الله والحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان الا على الظالمين.

الحمد لله الذي صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده.. أحمده ـ تعالى ـ لما هو له أهل من الحمد، وأثني عليه واستغفره من جميع الذنوب، وأتوب اليه، وأومن به، وأتوكل عليه .. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، أرسله الله رحمة للعالمين وسراجاً للمهتدين، وإماماً للمتقين، ونعمة على الخلق أجمعين فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الغمة، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان، وعلى أعلام الأمة العاملين، ومن سار على نهجهم الصحيح إلى يوم الدين وبعد ..

معالي الشيخ محمد بن عبدالله بن زاهر الهنائي، وزير الزراعة والثروة السمكية ... أصحاب الفضيلة .... أصحاب السعادة .. أيها الإخوة الحضور ... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

انها فرصة سعيدة أن نلتقي بكم في هذا الصرح الأدبي، وفي هذا المكان الطيب، في هذه الليلة المباركة الطيبة في ذكرى علم من أعلام الهدى، ونور من أنوار الدجى، هيأه الله ـ سبحانه وتعالى ـ لتجديد الدين ، ولحماية الوطن، وللقيام بالتكاليف التي ناطها الله ـ سبحانه وتعالى ـ بالعلماء

الراجحين بالعلم، إنـه الإمام المجدد العملاق نور الـدين عبدالله بن حميد السالمي ـ رحمه الله تعالى وطيب ثراه ـ.

وان من أسعد الفـرص أن يشرفني صاحب السمـو السيد فيصل بن علي بن فيصل آل سعيد وزيـر التراث القومي والثقافـة بتوجيه دعـوته الكريمة اليّ لكي أشارك في هذا المنتدى الأدبي ببحث حول (منهج السالمي في مؤلفاته العلمية والأدبية) وانها لقلادة فخر قلدني اياها سموه، ولكن أنى لي أن أقوم بذلك مع تراكـم الأعمال، وتزاحم الأشغال، ومع قصور الهمة عن القيام بمثل هذا الأمر الجلل، فلذلك اضطررت الى الاعتذار اليه بأنني لا أتمكن أن أقـوم بهذه المهمة في وسط هذا الـزخم من الأعمال .. اللهم الا أن أشارك بشيء مـن الحديث أعتصر فيه ذهني، لعلني أجـد به بعض ما علق به مما قرأته من مؤلفات هذا العلم الجليل، ولا أستطيع أن أقـول بحـال من الأحـوال بأننـي قـادر على أن أسلط الضـوء على هـذا الموضوع لأن الموضوع ليس بحاجة أن يسلط عليه الضوء، وماذا عساه أن يغني ضوء الذبالـة إذا سلط على عين الشمس، وانما قصارى جهدي في هـذا المكـان أن أتحدث بعض الحديث فيما يتعلـق بمـؤلفـات الإمـام المحتفى به الفكـرية والفقهية، أما الجانب الأدبي فإن فـارس هذا الميدان الأخ العزيز الدكتور ابراهيم بـن أحمد الكندي قد أعطاه حقه من الدرس والتمحيص والشرح والتحليل في محاضرته التي شارك بها في هذا الحفل الكـريم، كما استمعنـا أيضـاً الى محاضرة قيمة ألقـاهـا فضيلـة الشيخ اسماعيل بن علي الأكوع فيما يتعلق بالجانب التاريخي في مؤلفات الإمام السـالمي، وقبلهـا استمعنا الى العـديـد من المحـاضرات التي تحدثت عن حياته منذ ولادته الى وفاته.

وإنني أؤكد بأن حيـاة هذا الإمام مهما تحدث عنها المتحـدثون، وألف فيها المؤلفـون لما أوفوهـا حقها، فحياتـه ـ رحمه الله ـ حافلـة بجلائل الأعمال، وانني لاأجـد جملة مـوجزة تتحـدث عن مقـام هذا الإمـام كما

وجدتها في شطر بيت شعري قاله شاعر العرب، الشاعر الإسلامي الكبير أبو مسلم في قصيدة رثاه فيها وذلك عندما قال:

« جمـــع العـــالم في حيـــزومه »

وكفى بهذا وصفاً لهذا الإمام الجليل، كما انني لا أنسى كلمات عذبة قالها شاعر عمان الكبير الشيخ عبدالله بن علي الخليلي في وصف هذا الإمام وإرادته عندما قال:

« الذي هم فضاقت عن همه همم الدهر وأراد فعجزت عن نفي ارادته ارادة الزمن ».

ولست الآن في مقام الحديث عن حياة الإمام ومنجزاته الكبيرة التي قام بها، فذلك أمر لعله يخصص له ندوة، ولعله يعتنى بتدوين بحوث ومؤلفات فيه ، وانني ـ كما قلت من قبل ـ أحرص على أن أعتصر ذهني لعلني أجد شيئاً علق به مما قرأته من مؤلفات هذا الإمام الكبير، فأقدمه اليكم لا على سبيل تسليط الضـــوء ـــ كما سبق وأن قلت ـــ وانما هي ومضات أستمدها من نوره العظيم.

الإمام نور الدين السالمي ـ رحمه الله تعالى ـ عني عناية بالغة بالتأليف في مرحلة مبكرة من عمره المبارك ، وقد بارك الله ـ سبحانه وتعالى ـ في عمره فأمدنا بما أمدنا به من مواهبه السنية، وتيسر له أن يؤلف في مجالات شتى، حيث ألف في مجال العقيدة، وألف في مجال الفقه وفي اللغة العربية وعلومها وفي التاريخ وفي موضوعات متعددة ، وكان في جميع هذه المجالات التي يؤلف فيها عالماً محققاً جامعاً بين المعقول والمنقول.

وناهيكم اذا رأيتم مؤلفاته التي يربط فيها القضية بالدليل ، سواء كانت هذه القضية قضية فكرية أم كانت قضية فقهية في الجوانب العقائدية فاننا نجد انه يجمع فيها ما بين العقل والنقل، وهو لايقدم العقل على النقل بحيث يرد الدلائل النقلية لمجرد أنه يراها مخالفة بادىء

ذي بدء للمدلول العقلي ، ولكنه يحاول أن يستهدي بنور العقل، فيغوص في أعماق الأدلة من أجل اكتناه الحقائق التي يتحدث عنه، كما انه أيضاً لم يطمس على نور العقل فيوفر على حسابه في الجانب النقلي ويتعامى عن الحقائق العقلية؛ بل حاول أن يوائم بين العقل والنقل في بحوثه الكلامية، وهو واسع الإطلاع لايأنف أن يستفيد من أي أحد كان.

وقد عني بمطالعة الكتب التي ألفت في هذا المجال من قبل الفرق المتعددة ، سواء في ذلك الأشعرية والمعتزلة والماتريدية وغيرهم، وأخذ يبحث المسائل التي طرحوها، والقضايا التي ناقشوها على ضوء الأدلة العقلية والنقلية ــ كما قلت من قبل ـ واستخلص منها الجوهر الذي قدمه الى قرائه في مؤلفاته وكتبه.

أما الجانب الفقهي فهو ــ بلا ريب ـ المقصد العام الذي استطاع أن يربط الفقه بالسنة، وأن يربط الفروع بالأصول، وقد كان واسع الاطلاع في علم الحديث ، كما انه كان واسع الإطلاع قوي المأخذ في علم أصول الفقه، وقد تمكن من ربط الفروع بالأصول، واستطاع أن يأتي في مؤلفاته بتحقيقات لم يُسبق اليها في مجالات متعددة، وكان يعتمد أكثر ما يعتمد على الدليل، فلا يكاد يخرج عن الدليل كما بين نفسه منهجه عندما قال:

فإنني أقفو الدليل فاعلما ... لم أعتمد على كلام العلما
فالعلماء استخرجوا ما استخرجوا ... من الدليل وعليه عرجوا
فهم رجال وسواهم رجل ... والحق ممن جاء حتماً يقبل

كان يرفض كل الرفض الاعتماد على أقوال العلماء، لأن أقوالهم ـ وان جلت منزلتهم ـ لاتتعدى أن تكون دعاوى تعوزها البينات إن لم تقترن بالأدلة، ولربما كان الإمام السالمي ـ رحمه الله تعالى ــ عندما يفتي أو عندما يؤلف، لايعتمد كثيراً على مراجعة المؤلفات السابقة، فلذلك يأتي بقول يذكر فيه أن هذا القول لم يجده لغيره مع انه موجود في بطون

الكتب، ولربما رجع من بعد فذكر بنفسه أنه اطلع عليه بعد أن كان غير مطلع عليه.

من الشواهد على ذلك أنـه ـ رحمه الله تعالى ـ كـان يرجح بأن الخمر اذا تخللت ؛ حلت؛ واعتماده في ذلك على النظـر الى مقصـد الشرع، فـان الشرع انما قصد في تحريمه الخمر الحفاظ على العقـول وسلامتها، فاذا زالت العلة، زال المعلـول، فحكم الخمر منوط بزوال الإسكـار فيها، ومع زوال الإسكار يرتفع عنها الحرم، ولكنه عندما اعتمد هذا القول ذكر انه لم يجده لغيره، وذلك عندما قال:

وبعـد أن زال وصـارت خـلاً فـالمذهب المختـار عنـدي حـلا
هـذا هـو التنقيـح في ذا الموطن ولم أجـده لسـواي فـأفطن

ومع أن القـول مـوجـود في كتب علماء المذهب وغيرهم، ومن علماء المذهب الذي ذهبوا الى هـذا القول؛ العلامة ابن بـركة في الجابية، وذهب جماعة آخرون أيضاً الى هذا الرأي نفسه.

ويذكر مثلاً في كتابـه (مدارج الكمال) حكم المستحاضة فيبني حكمها على أن الشهر يجمع مـا بين الحيضة والطهـر، وان أقصى مدة الحيض عشرة أيـام، كما جاء في حـديث أنس بن مـالك ـ رضي الله عنـه ـ الـذي أخرجه الإمـام الربيع عن أبي عبيدة عن جابـر بن زيد، ونص الحديث: «أقل الحيض ثلاثـة أيام، وأكثره عشرة أيام» ، وعلى هـذا فعشرون يوماً تبقى للطهر، ولكنه عندما ذكر هذا الـرأي في مدارجه، قال بأنه إنما قاله من تلقـاء نفسه ولم ينقلـه عن غيره من العلماء وانما استنبطه من هـذا الدليل، وبعـد ذلك عندمـا شرح المسألة في معـارجه قـال: انه وجـد هذا القول في الإيضـاح مع أن هذا القـول موجـود في الكثير من الكتب، منها الإيضاح والتيل وشرحـه وحاشية الـوضـع وكتب أخرى نصت على ذلك الرأي.

وهناك العديـد من الأمثلة التي نجد أنفسنا لسنا بحـاجة الى التعرض لها في هذا الـوقت تدل على أن الإمام ـــ رحمه الله ـ كان يعتمد أكثـر ما

يعتمد على ما يتوجب اليه من فهم الدليل، وقد كان رأيه يختلف بين الحين والآخر اختلاف كتابه حسب نظره في الأدلة، ولعل مسألة المياه من المسائل التي اختلف فيها رأيه عدة مرات، وذلك أن رأيه في غالب كتبه أن الماء يفرق بين قليله وكثيره، فينجس قليله بمجرد ملاقاة النجاسة، ولو لم يتغير وصف من أوصافه، وهذا الرأي هو الذي نص

الماء منه طاهر مطهر	**ومنه طاهر لايطهر**
ومنه رجس صح فيه النجس	**فالأول المطلق ليس ينجس**
أو كان دون القليتن وقعا	**فيه ولم يتغير فاسمعا**
هذا هو الأصح لا ما قيلا	**ما لم يغيره وإن قليلاً**

ثم نجده بعد ذلك يرجع عن هذا الرأي في معارجه، ويرجح الأخذ بالرأي الذي روي عن أبي هريرة وابن عباس ـــ رضي الله عنهما ـ وقد قال به جماعة أتوا بعدهم، فمنهم جابر بن زيد ، ومنهم أبو عبيدة مسلم ابن أبي كريمة التميمي من علماء المذهب، وهو الذي قال به الإمام أبو نبهان من العلماء المتأخرين، وهو الرأي الشهير في المذهب المالكي، وقال به الإمام الغزالي من علماء الشافعية، واعتمده جماعة من علماء المذاهب الأخرى كالظاهرية، وهو عندهم، لا فرق بين قليل الماء وكثيره، فالماء لاينجس إلا اذا تغير لونه أو طعمه أو ريحه، هذا الذي اعتبره في معارج الآمال، وكان اعتماده على الرأي مبنياً على عموم الحديث «الماء طهور لاينجسه الا ما غلب عليه فيغير من لونه أو طعمه أو ريحه».

وقد رأى الإمام أن هذا الحديث وان كان عاماً لم يأت حديث مخصص يمكن أن يخرج بعض أفراد مدلولاته عن حكم العموم، لأنه قال بأن حديث «إذا كان الماء قدر قلتين فلا يحمل الخبث» هو حديث ظاهره غير مراده، فانه ينص على أنه لايحمل الخبث، ولكنه يحمل الخبث، كلما كثر كان أقدر على حمل الخبث، فظاهره غير مراده، سلمنا ـ

كما يقول الإمـام ـ بأن ظـاهره متعـدد وبين، وذلك انه يبينـه الحديث: «قدر قلتين ماء لاينجسه شيء».

إلا أن ذلك الحديث مـرسل، ونفس هـذا الحديث أيضـاً فيـه شخص مجهول، فلذلك لايمكن أن نعتمد على الأحـاديث المرسلة، وعلى الأحاديث التي فيهـا الأشخـاص المجهولـون، فنخصص بها ، وهنـاك الأحـاديث الثـابتة الصحيحـة، الا انه في شرح المسنـد ـــ وشرح المسند متأخـر عن المعارج كما هو معلوم من تاريخ تأليفـه للكتابين ـ ومن احالته في شرح المسند على المعارج نجده يرجح هـذا الرأي ليقول بأن التفرقة بين القليل والكثير هي جمع بين الأدلـة الواردة في الأثر، فنـرى انه في هـذا اختلف رأيه بين الحين والآخـر، فكان له رأي، ثـم رجع عنه الى غيره، ثم رجع بعد ذلك الى الرأي السابق.

على أن من قـرن بين ترجيحـاتـه في المعـارج، وفي شرحه على مسنـد الإمام الربيع بن حبيب ـ رحمه الله ـ وجـد أنه في شرح المسند كان أكثر اعتماداً على جانب الحديث منه في المعارج، وانما يرجع ذلك إلىّ سعة أفقه في علم الحديث بعـد سفره الى الحج في عـام ١٣٢٣هـ، واجتماعـه هناك بعلماء الآفاق، ومن بينهم العلماء المتخصصون في علـم الحديث، وماكان بينـه وبينهم من منـاظرات، وهـذا الـرأي دعاه الى الـرجـوع لكثير من المؤلفات الحديثية، فكان كثيراً ما يحرص على المطالعة في الأمهات الست، وغيرها من كتب الحديث، والتي بصماتها ظاهـرة على غيرها، ومن أمثلة ذلك؛ انـه كان في (المعـارج) يرجح بأن المصلي إذا شرع في الصـلاة قبل طلوع الشمـس وقبل غروبها، ففاجـأته الشمس في الطلـوع وفي الغروب فعليـه أن يقصر، وهذا الـرأي المشهـور في المذهب وله علماء منـاصرون أيضاً، غير علماء المذهب، ولكنه في شرحه على المسند الصحيح اعتمد على المذهب الآخـر الذي يقـول: انه يستمر في صـلاته، ولا يلتفـت الى طلوع الشمس لأنه نهي عن الشروع في الصـلاة لا عن الإستمرار فيهـا، وهذا

الـرأي يستند الى حديث أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ «من صلى ركعة من الصبح قبل أن تطلع الشمس فليتم صلاته، ومن صلى ركعة من العصر قبل أن تغرب الشمس فليتم صلاته» فقد بنى رأيه هذا على الحديث ، مع انه أشار الى هذا الرأي في المعارج، وذكر بأنه يوجد في كتب أهل البر، ثم قال: ولعله قول الأقدمين، أشار اليه في (التضعيف) في المعارج، ولكن هذا الذي صححه واعتمد عليه في شرحه على مسند الإمام الربيع بن حبيب.

هذا ولربما أصل أصلاً، واعتمده في تأصيلاته، ولكنه يخالف ذلك الأصل فيما بعد، وهذا ـ فيما يبدو لي ـ انما يبني ما يبنيه من رأي عندما يخالف أصله على النظر في مقاصد الشرع تارة،.وعلى النظر في سد الذرائع تارة أخرى.

ومن أمثلة ذلك انه يقول في (شمس الأصول) بحكم الاستثناء، وهذا الحكم ينطبق على جميع التخصيصات المتصلة:

واحكم به للكل إن تلا جمل ... معطوفة الا لمانع حصل
كاكرم ببني مخزوم واعط السائلا ... الا فتى رأيته مجادلا
وقال قوم هو للأخيرة ... وههنا مذاهب كثيرة
أصح ذين أول القولين ... وسائر الأقوال دون ذين

وذكر في شرح هذه الأبيات خمسة أقوال في المسألة، وصحح القول الأول الذي صححه في المتن، ولكنه نفسه في جوهره يخالف هذا التأصيل عندما قال بأن شاهد الزور وقاذف المحصنات، وان تابا لاتقبل شهادتهما، وذلك أنه قال:

في سورة النور أتى لا تقبلوا ... له شهادة فكيف تفعلوا

مع أن التأصيل هنا يقتضي خلاف ذلك، وذلك لأنه قال بأن الاستثناء يعود على جميع الجمل المتقاطعة، اذ حكم العطف أن يشرك الجمل المتعاطفة فيجعلها كجملة واحدة وهذا ـ فيما يبدو لي ـ راجع الى النظر

في سد ذرائع الفساد، اذ لعل هـذا الشاهد الذي شهـد زوراً فيه بقية من مخالفته لطريقة الحق ، وتوبته التي تظهر لنا بتوبة أصولية، ولم ير أن تهدر الحقوق، وتنقل الأموال من ملك لملك بمجرد مثل هذه الشهادة.

على أن مخالفة الفـروع للتأصيلات عند العلماء مـوجودة في كثير من المذاهب الفقهية، وكثيراً ما تجد مـذهباً معيناً يؤصل أصـلاً ثم بعد ذلك عندما نـرجع الى فروع الفقه في ذلك المذهب نجـد أن الفروع جاءت على خـلاف تلكم الأصـول؛ وفي مسألة واحـدة، وقع في هـذه المسألـة علماء الشـافعية والمـالكية والحنفيـة وهي مسألـة الكافـر إذا لجأ الى الحرم، ولنستمع الى العـلامة المـالكي الكبير ابن العـربي، مـاذا يقول في هـذه المسألة عندما يحكي مناظـرة وقعت بين أحد علماء الحنفية، ورجل آخر حنفي دخل عليه، فأراد العالم أن يختبره.

يقول العلامة ابن العربي: كنت في البيت المقدس ـ طهره الله ـ بمسجد أبي عقبـة الحنفي، والقـاضي الجرجـاني يلقي علينـا الـدروس في يـوم الجمعـة، فبينما نحن كـذلك، اذ ظهـر علينـا رجل بهي المظهـر ، عليـه الأطمار، فسلم تسليم العلماء وتصدر في صدر المجلس بمـدارع الرعاع، فقال القـاضي: من السيـد؟ على عادة كـرام العلماء في المبادرة بـالسؤال، فوقعت القـرعة على مسألـة الكافر اذا لجأ الى الحرم هـل يقتل؟ فأجاب بأنه لا يقتل، فطولب بالدليل فقال: الدليل قوله تعالى ﴿ولاتقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه﴾.

الآية فيها قراءتان:

ـ الأولى : ﴿ لاتقتلوهم ﴾ وهي نص بالموضوع.

ـ والثانية: ﴿ لاتقاتلوهم ﴾ وهي دالة على النهي عن المقاتلة التي هي سبب القتل، واذا امتنع السبب امتنع المسبب.

فقال القاضي منتصراً لمذهب مالـك والشافعي، وان لم ير رأيهما: هذه الآية منسوخة بقوله تعالى ﴿فاذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين

حيث وجدتموهم﴾ فأجاب : هذا لايليق بمنصب قاض مع الدلالة بأن الآية التي احتججت بها خاصة، والآية التي اعترضت بها عامة، والخاص لاينسخه العام، فبهت القاضي من سرعة جوابه، وهذا من غريب الكلام.

هذه المناظرة التي وقعت بين عالمين حنفيين في هذه المسألة، وكلاهما في وجد من حاله، ولكن أحدهما أراد أن يختبر الآخر، فطرح عليه هذه المسألة أولاً، ثم بعد ذلك سأله عن الدليل، ثم اعترضه على الدليل، ثم سمع الإجابة، وقد كانت الاجابة ــ كما فهمت ـ بأن الدليل الخاص ﴿ولاتقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه﴾ لايمكن نسخه بالدليل العام وهو قوله تعالى عز وجل ﴿فاذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾، و (حيث) لعموم الأمكنة، فيدخل في مدلولها ما حول المسجد الحرام أي (الحرم الشريف) ، ولكن بما أن تلك الآية المتقدمة كانت خاصة، فلا يقوى هذا العموم على نسخ ذلك الخصوص لأن العام ظني الدلالة، وان كان قطعي المتن، والخاص قطعي الدلالة، فان كان قطعي المتن، كانت حجته قطعية ـ بلا ريب ـ مع أن تأصيلات الحنفية تدل على أن العام عندهم هو قطعي الدلالة كالخاص، ودلالة العام قطعية، ولذلك يبنون على ذلك بأن الأدلة العامة يمكن أن تنسخ الأدلة الخاصة.

والشافعية والمالكية في هذه المسألة يرون رأي الجمهور في تأصيلاتهم، فيرون أن الخاص قطعي الدلالة، والعام ظنيّها، فلا يمكن للعام أن ينسخ الخاص، ولكنهم في هذه المسألة، فرعوا على غير أصلهم، والحنفية فرعوا على غير أصلهم، فالشافعية والمالكية فرعوا على أصل الحنفية، والحنفية فرعوا على أصل الشافعية والمالكية.

والإمام السالمي ـ رحمه الله تعالى ـ كان كما سبق وقلت ـ غير متحيز إلا إلى الدليل، وقد كانت كتبه ملأى بآراء علماء المذاهب الإسلامية

المختلفة، وكان يحرص دائماً على ما يجمع الشمل، ويرأب الصدع، وكان يستفيد مما كتبه الكاتبون من العلماء البارزين في شتى المجالات، فقد كان كثيراً ما يعتمد في التفسير على الإمام الفخر، وبصمات تفسير الإمام الفخر واضحة على (معارج الآمال) . ففي المقدمة الكثير من أصول الدين بل وفي سائر الكتب.

ففي المسائل الفرعية؛ نجد كثيراً من أقوال الإمام الفخر، نجد جملاً واسعة من نصوص كلامه في أجزاء المعارف المختلفة، ففي المسائل العقائدية التي بحثها الإمام، وأشبعها بحثاً، وكان كلامه مفعماً بكلام الإمام الفخر، (مسألة التكليف بما لايطاق أو التكليف في المحال).

ومن المسائل الفرعية التي نقل فيها كلام الإمام الفخر بنصه وفصّه مناقشته للحنفية في اجازتهم قراءة الفاتحة بالفارسية، كما انه قد يورد للإمام الفخر كثيرا من المسائل التي يكون له فيها رأي مخالف لرأي الإمام الفخر، من أمثلة ذلك؟ مسألة (الضاد) و (الظاء) ، فالإمام الفخر يرى أن التقارب بين المخرجين يقتضي التسامح في هذين الحرفين، فلو أن أحدا أخطأ، فأخرج (الضاد) من مخرج (الظاء)، والعكس لايؤدي ذلك الى أي حرج في صلاته.

وكان الإمام نور الدين له رأي يخالف هذا الرأي ، وقد تعقب كلام الإمام الفخر، بأن لكل حرف من هذين الحرفين مخرجاً خاصاً، ويجب أن يخرج كل منهما من مخرجه، وان على من لايحسن اخراج هذين الحرفين من مخرجيهما أن يتعلم ذلك.

كما أشبع (معارج الآمال) وشرح (المسند) بتحقيقات الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري، ويبدو أن الإمام كان معتنياً بالفتح أكثر من غيره من شروح كتب السنة، وما أجدره بذلك، ويبدو أن عنايته بالفتح كانت قبل سفره الى الحج بفترة من الوقت، فقد كان يعتني بهذا الكتاب، وبصماته واضحة على شرحه على (مدارج الكمال) وشرحه على (مسند الإمام الربيع بن حبيب).

هـذا ؛ وقد كـان الإمـام لايخفي أيضاً نـزعتـه الإصلاحيـة في آرائه الفقهية، فقد كان يواجه المجتمع الذي ربما كان يحرص على آراء العلماء السابقين، ويرى أن لتلك الآراء قدسية، ولكـن الإمام السالمي في مواجهة ذلك، يأتي بالقول الذي يترجم بالـدليل وربما واجه الذين يعارضونه في ذلك مـواجهـة عنيفـة، ومن أمثلـة ذلك مثـلاً مسألـة الأذان التي كـان للمجتمع العماني فيها عمل خـاص، اذ كانوا يـرون أن يقيم الإمام دون المؤذن، والإمام السالمي ـ رحمه الله ـ رأى الرجوع في هذه المسألة الى ما كان عليه السلف، وقد شدد النكير على الذين خالفوا نهج السلف في هذه المسألة، كما هو واضح في معارجه وفي فتاواه، وفي جوهره، ولربما واجه معـارضـة من بعض الجامـديـن في عصره، فأدى بـه ذلك الى رد عنيف عليهم كما في قوله:

ان كـــان في سنتـــه مـن أذنـــا ... فهـــو يقيـم وعليـــه صحبنـــا
حتى أتى من جهلـوا المسنـونـا ... وهم بـالاحتيـــاط يـدّعـونـا
فبدلـوا ويـاليتهـم مـا بـدلـوا ... ورسخـت بقلـب مـن لايعقـل
حتى ادعـاهـا سنـة واحتـالا ... على مـا ثبتـوهـا بما قـد قـالا
وهي لعمـــري جـــدل محرم ... لأنـــه يقـــول مـــالا يعلم
وانـــه ســـاع لهدم السنـــه ... بجهلـــه كفى بهذا محنـــه
لـو كـان سنـة كما قـد زعما ... لم تفتن أســـلافنـــا والعلما
كيف تكـــون سنـــة مخالفـــة ... لما عليـــه العلماء الســـالفـــه
وفعلـــه صلى عليـــه ربـــه ... مشتهـــر مضى عليـــه صحبـــه
والخلفـــاء الـــراشـــدون أجمع ... إلى أنتهـــائهم عليـــه أجمعـــوا

فترون أن الإمـام يحرص على اتبـاع مـا كـان عليـه رسـول الله ﷺ وماكان عليه خلفـاؤه الراشدون، وما كان عليه سـائر الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ولا يؤثر عليهم قول أحد من غيرهم، وقد يواجه ما كان عليه العمانيون من قبل بحزم وعزم وشدة، حتى استطاع أن يغير تلك الحالة التي كان عليها من قبله، ومن أمثلة ذلك أيضاً، مسألة الأوقاف الموقوفة

على قراءة القرآن في المقابر، فقد شدد النكير على من يرون جواز قراءة القرآن في القبور، ومع احترامه للعلماء السابقين، فانه لم يبال بمخالفتهم في ذلك وبين أن القول الصحيح السليم هو الذي تعضده سنة، وانه لايبالي في مخالفة من خالف ما دام متمسكاً بالسنة، فقد قال انكاراً على قراءة القرآن في القبور:

أتعمر قبورنا الدوارس ... ولو تردد اليها الدارس
وهذه المساكن المعدة ... نجوبها وهي لذلك عدة
والمصطفى قد زارها وما قرا ... الأ سلاماً ودعا وادبرا
حسبك أن تتبع المختارا ... وأن يقولوا خالف الآثارا

وفي مؤلفاته العقائدية والفكرية يحرص أيضاً على ما يجمع شمل الأمة ويلم شعثها، ويوحد كلمتها، ويرأب صدعها، ولذلك كان يحرص على حسن الظن بالمسلمين الذين يدينون لله ــ تبارك وتعالى ـ بالشهادتين، لأن للشهادتين حرمة عظيمة، ومن أمثلة ما قاله في ذلك ما جاء في أرجوزته (كشف الحقيقة لمن جهل الطريقة) عندما قال:

ونحن لانطالب العبادا ... فوق شهادتين واعتقاداً
فمن أتى بالجملتين قلنا ... اخواننا وبالحقوق قمنا
إلا اذا ما أظهروا الضلالا ... واعتقدوا في دينهم محالا
قمنا نبين الصواب لهم ... ونحسبن ذلك من حقهم
فما رأيته من التحرير ... في كتب التوحيد والتقرير
حد مسائل ورد شبه ... جاء بها من ظن بموجبه
قمنا نردها ونبدي الحقا ... بجهدنا كي لايضل الخلقا
لو سكتوا عنا سكتنا عنهم ... ونكتفي منهم بأن يسلموا

ولا أدل على حرصه على جمع الأمة تحت لواء التوحيد من رسالته الجوابية ، التي وجهها الى المصلح والقائد الكبير الشيخ سليمان باشا

الباروني عندما سأله عن رأيه في اجتماع المذاهب الإسلامية تحت كلمة سواء ، تحت كلمة واحدة، وما ينبغي أن يتخذ من الوسائل من أجل ذلك، وقد أجابه اجابة شهيرة، وهي موجودة في فتاواه، وكتب أخرى .

هذا ، وقد كان للإمام نور الدين السالمي ـ رحمه الله ـــ طموح الى إصلاح المجتمع، وتحقيق العدالة، وجمع الكلمة، وقد كانت مؤلفاته تنم عن ذلك، ولذلك عندما نذكر مواجهة الظلم والظالمين وتحقيق العدل ، نجد طموحه يتجلى في كلماته، من أمثلة ذلك ما قاله عندما ذكر المرداس مبايعته أصحابه على الشراء من أجل اعلاء كلمة الله:

بايع صحبه على الشرا وما ... طال زمانه الى أن يكرما
نالوا الشهادة التي قد طلبوا ... وبرضى الرحمن منها انقلبوا

كما انه عندما ذكر الإمام اليمني طالب الحق عبدالله بن يحيى الكندي، وما قام به من الإصلاح المالي عندما فتح صنعاء، ووجد خزائن الأموال فيها الكثير من المال الذي جبي من أهل صنعاء بغير حق، فما استباح أن يأخذ من ذلك شيئاً لنفسه ولا شيئا لأصحابه، وقد سجل الإمام ذلك بعبارات تنم عن اعجابه العظيم بمثل هذا المذهب، وتطلعه الى مثل ذلك العمل، ولذلك قال:

وطالب الحق بصنعا حكما ... بجعلها في أهلها واحتشما
لم يأخذن من مضيق يومه ... شيئاً من الستر ولا لقومه
تعففاً منهم ومن كمثلهم ... أكرم بهم من عصبة أكرم بهم
وانهم ماتوا على ما أبصروا ... من الهدى ما بدلوا أو غيروا

كما انه أيضاً كان يبدي اعجابه بفحول العلماء والأئمة الذين يتصدون للظلم، ويقفون في وجهه، ويجرأون على اصدار الأحكام والفتاوى التي تتفق ومصلحة الأمة في مواجهة الظلم والظالمين، كما

يتضح ذلك عندما أبدى اعجابه بمسلك الإمام عمر بن الخطاب الخروصي، ومسلك الإمام عزان بن قيس بحسم الحكم الذي أفتى به، وحكم به المحقق الخليلي في ذلك الوقت، وقد قال في هذه المسألة:

وفي بني اليحمد أسد الشرى	امام صدق كان يدعى عمرا
كذا أبوه يدعى بالخطاب	ساميا لعمر الصحابي
من نسل شاذان وذاك العلم	دوّخ أهل الظلم حين ظلموا
فقد قضى على بني نبهانا	جبابراً كانوا على عمانا
قضى بأن مالهم لمن ظلم	من العمانيين لكن ما علم
فجعلوا ذلك بيت مال	لجهلهم بمالك الأموال
شابهه بالاسم والتصلب	على أولي الظلم فلا تستعجب
ولخفاء هذه الدقائق	وحسن فهمها على الخلائق
قاموا يخاصمون من بها حكم	أيام عزان وذلك العلم
افتى به في الماء والنخيل	إمامنا المحقق الخليلي
فاستنكروه وهو لم يستنكر	لأنه الواضح مثل القمر

هكذا نجد شخصية الامام العلمية والعملية تتجلى فى مؤلفاته ، والمجال واسع فى ذلك ولكن المدة قصيرة والوقت أزف وقد أخذت منه اكثر مما اعطيت ، ولذلك اعتذر اليكم ولا أنسى أن اذكر أن الامام ـ رحمه الله ـ مع علمه الواسع ، وشجاعته الفائقة وشخصيته الفذه كان ورعاً زاهداً عابداً ، يخشى الله ـ تبارك وتعالى ـ ويتقيه ، ويراقبه في سريرته وعلانيته ، ويخلص له العبادة ، وقد أتى بأوصاف رائعة له ولحزبه العلامة أبو مسلم في رثائه للامام نور الدين السالمي عندما قال في وصفهم.

خبت إذا جنّ الظلام رأيتهم	طاروا إلى الملكوت بالاسرار
غر إذا عم الظلام على الورى	سجدوا على البغتات كالاحجار

هذه هي صفات الإمام، وهذه ومضات مما تركه لنا من ثروة علمية

هائلة، وانني أهيب بالشباب الطامح أن يبحث في هذه الكنوز ليغرف من معينها الثر الفياض ما يفيد الأمة، وأسأل الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يتغمد الإمام السالمي بواسع رحمته، وأن يسكنه فسيح جنته، وأن يبارك في جهوده وأعماله، وأن يجعل في الخلف الصالح من يمشي على طريقه في الاستقامة على الحق، واتباعه، والحرص عليه.

ولا يفوتني أن أشكر في هذا المقام صاحب السمو السيد فيصل بن على ين فيصل آل سعيد وزير التراث القومي والثقافة على هذه البادرة الطيبة، وأشكر هذا المنتدى وأشكر الأخ العزيز سعادة رئيس المنتدى على هذه الجهود الجبارة من أجل الخروج بالتراث العماني الأدبي والعلمي من مضائقه التي يقبع فيها إلى الانطلاق الفسيح بحيث يدرس على مسمع ومرأى من الحاضرين والغائبين، بحيث يسمعه السامعون، ويتلوه التالون، في هذا الوقت الذي حرص فيه القائد الملهم المفدى ـ بارك الله في حياته ـ على أن يكون حلقة تصل المستقبل المشرق بالماضي العريق، حتى يضم طارف المسجد الى تليده، فأسأل الله تبارك وتعالى أن يبارك في الجميع، وهو ولي التوفيق.

وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين، وشكراً لكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المنهج العلمي
« في مؤلفات السالمي التاريخية »

إعداد / فضيلة الشيخ اسماعيل بن علي الأكوع

لاجرم أن من يطلع على كتاب «تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان» للشيخ العلامة الضرير نور الدين عبد الله بن حميد السالمي المتوفى سنة ١٣٣٢ هجرية سيشاركني الرأي في أن مؤلفه كان ذا دراية واسعة ومعرفة بعلوم متعددة، ومعارف جمة متنوعة، فهو أديب شاعر، وفقيه بارع، وهو عدا ذلك مؤرخ ملم بتاريخ بلاده في جاهليتها وإسلامها، كما يعرف كذلك مدى علاقتها بالدول المجاورة لها في الجزيرة العربية ، وفي بلاد فارس، حيث هيأت له هذه المعارف العديدة أن يضرب بسهم وافر في ميدان التأليف، فكان كتابه «تحفة الأعيان» أحد ثمار معارفه الواسعة.

وهذا الكتاب، وعلى الرغم من صغر حجمه بالنسبة لمكانة عُمان الدولية التاريخية، وموقعها الجغرافي الاستراتيجي الهام فقد حوى بين دفتيه خلاصة تاريخ عمان منذ فجر التاريخ حتى عصر مؤلفه، وهو لاريب حصيلة جهد كبير من الاطلاع في أمهات كتب التاريخ العامة، وكذلك كتب التاريخ الخاصة بعمان، والتي كان سيسعد قراء كتابه بذكرها كلها عند النقل منها، أو الاستشهاد بما ورد فيها مما يتعلق بمواضيع كتابه، علماً أن اغفال ذكرها غير المقصود لايقلل من قيمة كتابه، ولا ينقص من مكانته العلمية، لأن الشيخ نور الدين السالمي ـ موضوع كلمتنا هذه ـ كان حصيفاً، أميناً فيما يملي على كاتبه حتى لو كان بالمعنى فإنه لايبعد كثيراً عن النص.

تبين لي ذلك من خلال ايراده في الجزء الثاني من كتابه المذكور (صفحة ٥٧) رسالتين متبادلتين بين إمام عمان سلطان بن سيف ، وبين

ملك اليمن الإمام المتوكل اسماعيل بن القاسم محمد، وكلاهما من أعيان المئة الحادية عشرة للهجرة، فقد قابلت بين نص هاتين الرسالتين على نسخة أخرى لهما موجودة في خزانتي فوجدتهما متطابقتين لايختلف ما في «تحفة الأعيان» عما عندي إلا في ديباجة الرسالتين، وفي بعض ألفاظ لاتخرج عن المعنى في شيء وامانته تتمثل في انه أتى بنص رسالة ملك اليمن بحذافيرها، ولم يغير أو يبدل أو يعدل في ألفاظها على مافيها من إرعاد وإبراق، وانذار وتهديد، ووعيد بالويل والثبور ووخيم العقاب لأمام عُمان. وغاية ما فعله الشيخ نور الدين السالمي أن عقب على هذه الرسالة بقوله: «وبكل أسف انا لم نقف على جواب الأمام ــ أي إمام عمان ـ لهذا الكلام ! ثم قال: وأئمتنا بحمد الله تعالى ممن ذكرهم الله في كتابه بقوله: ﴿ وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً، والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً ﴾ الى قوله تعالى ﴿ والذين لايشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراماً ﴾ (النور ٦٣ ـ ٧٢) فهم الأئمة الفعالة، وغيرهم الأئمة القوالة، وكان هذا الرجل ــ يقصد ملك اليمن ــ زيدي المذهب، وكأنه يثبت الوصايا لعلي، وما افتخاره بقتل أهل النهروان الا كافتخار اليهود بقتل عيسى ﴿ وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ﴾ (النساء ١٥٧) ، وكذلك من قتل في سبيل الله ﴿ولاتقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لاتشعرون ﴾ (البقرة ١٥٤) . ثم قال: ودلائل الحال تقتضي أن بينهما وقوع وقائع، ولكن لم نطلع على شيء من ذلك. وتمكن هذا الأمام ـ أي إمام عمان ــ من اليمن والهند وغيرهما يقتضي أن الأمر صار على خلاف ما يزعمه ملك صنعاء، وكذلك تمكن الأئمة من بعده فانهم قد ذكروا لهم من القوة والسلطان والتمكن من البلدان النائية والأقطار القاصية، وذلك يقتضي ان الامام ومن بعده قد تمكنوا من اليمن وغيرها ما خلا صنعاء فإنا لم نجد تاريخاً في التمكن منها بنفسها.

وأما آثارهم ـ أي آثار أئمة عمان ـ فظاهرة في أطراف اليمن ، والله أعلم بما وقع بعد تلك المخاطبة، ثم ختم تعقيبه بقوله : والأمر لله وحده ملك الملك يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، والحمد لله رب العالمين.

وفي هذا التعقيب شيء من الغموض فان أراد الشيخ نور الدين السالمي ـ رحمه الله ـ أن نفوذ أئمة عمان قد شمل اليمن وغيرها ما خلا صنعاء، فهذا خبر هام جداً، أقرأه لأول مرة، وكان عليه أن يذكر مصدر هذا الخبر فإني لا أعرف في حدود علمي أن شيئاً قد حدث من ذلك. وان أراد بالتمكن انتشار المذهب الأباضي وظهوره في اليمن فهذا صحيح ولاغبار عليه. فقد انتشر في أصقاع من بلاد حجة، وفي بلاد السودة في المئة الخامسة للهجرة على يد الحطيط بن عبد المجيد الأباضي، ويذكر بعض مصادر التاريخ اليمني أن الأمير ذا الشرفين قد جند جنوده لمحاربة أتباع هذا المذهب حتى أخرجهم عنه، وحولهم الى المذهب الزيدي الهادوي، كما انتشرت كذلك في مخلاف حضرموت، وربما كان ذلك على يد عبدالله بن يحيى الكندي الحضرمي الأباضي المعروف بطالب الحق، وقد استمرت هذه الطائفة في هذا المخلاف حتى المئة السادسة ، ثم ساد بعد ذلك المذهب الشافعي.

أما المذهب الذي سلكه الشيخ نور الدين السالمي، والذي هو عنوان هذه الكلمة فانه أقرب الى منهج المؤرخين المتقدمين منه الى المنهج الحديث، ذلك أنه وضع لكل مرحلة من مراحل تاريخ عمان عنواناً ملحقاً بكلمة (باب) ويندرج تحته موضوع معين ، يتناول فيه ذكر ما يتعلق بتلك المرحلة من شتى جوانبها المختلفة. ولعله قد تأثر بمنهج الإمام اللغوي النحوي أبي العباس محمد بن يزيد المبرد الأزدي العماني المتوفى سنة ٢٨٥ في كتابه المشهور (الكامل في اللغة والأدب) الذي استعمل كلمة (باب) عنواناً لكل فصل من فصول كتابه من دون أن يضيف اليه ما يميزه عن سائر الأبواب الأخرى إلا بما يتبعه من أخبار.

وقد افتتح الشيخ السالمي كتابه بالتعريف بعُمان مستعيناً بما قاله ابن خلدون والمسعودي صاحب كتاب «مروج الذهب» في وصف عمان وتحديد مكانه من جزيرة العرب وذكر حدوده ومن سكنه، وذكر أشهر جباله وسهوله وأنهاره وشواطئه وخيراته، وأنواع ما يزرع فيه من ثمار وفواكه.

ثم خص الباب الأول من كتابه بفضائل أهل عمان، وخلص بعد ذلك الى ذكر بعض علمائه وزعمائه وقادته وأعيانه فذكر من علمائه الخليل ابن أحمد الفراهيدي المتوفى سنة ١٧٠ مؤسس علم العروض والقوافي، وصاحب كتاب (العين) في اللغة، وذكر المبرد الذي تقدم ذكره، ثم ذكر أبا بكر أحمد بن محمد بن دريد الأزدي المتوفى سنة ٣٢١ صاحب كتاب «الاشتقاق» كأمثلة مشرقة على ما لهؤلاء العلماء وغيرهم الذين هم أزديو النسب عمانيو المحتد من أياد بيضاء على الحضارة الإسلامية.

ثم ساق الشيخ السالمي أخبار بلاده باباً باباً حتى انتهى الى زمنه . ويمكننا أن نصنف تاريخ عمان الى عدد من الفترات الزمنية التي لها بداية ولها نهاية فتبدأ الفترة الأولى بدخول العرب الأزديين الى عمان وانتزاعها من أيدي الفرس الذين كانوا قد تملكوها، فجاء العرب اليها من اليمن بعد خراب سد مأرب فأزاحوهم عنها.

وهنا لابد من الإشارة الى ذكر أسباب انهيار سد مأرب أعظم معالم الحضارة البيئية لما في ذلك من عظة وعبرة لمن اعتبر، فالمؤرخون المسلمون قد قصروا السبب في خرابه على فعل الفأر الذي تقول الروايات التاريخية أنه ظل يحفر في جسم السد حتى تسرب الماء من الثقوب التي حفرها فانهار بنيانه المشيد والى ذلك أشار الشاعر المؤرخ عمارة بن علي اليمني الحكمي في قوله من قصيدة:

ولاتحتقر كيد الضعيف فربما تموت الأفاعي من سموم العقارب
فقد هد قدماً عرش بلقيس هدهد وخرب حفر الفأر سدا لمأرب

أما علماء الآثار فانهم يعزون خرابه الى تراكم الطين الذي كانت تحمله السيول الى السد حتى امتلأ به حوض السد فسد منافذ الماء ومخارجه فلم يقو جسم السد على تحمل ذلك الثقل فانهار السد.

ومهما كانت الأسباب فقد غفل المؤرخون عن ذكر السبب الذي تضمنته الآيات البينات في قوله تعالى ﴿ لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور ، فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل، ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكفور، وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين ، فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق، إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور ﴾ (سبأ ١٥ ـ ١٩).

ويدخل ضمن الفترة الأولى من تاريخ عمان فترة حكم مالك بن فهم مؤسس الدولة العربية في هذا البلد المبارك وكذلك حكم أولاده الذين توارثوا الحكم بعده حتى انحسر الملك عنهم لتبدأ المرحلة الثانية بانتقال الملك الى بني معولة بن شمس الذين استمر الملك فيهم الى بداية ظهور الإسلام وتبدأ المرحلة الثالثة بدخول أهل عمان في دين الله أفواجاً ويتولى حكمها ولاة مرسلون من عند رسول الله ﷺ، ثم من عند الخلفاء الراشدين ثم من قبل الخلفاء الأمويين، ثم من قبل السفاح الخليفة وفي عهده تبدأ الفترة الرابعة فقد عقد العمانيون للجلندى بن مسعود بن جيفر بن جلندى الإمامة على عمان فكان أول إمام لها في تاريخها وقد استمر نظام الإمامة في عمان معمولاً به الى عهود متأخرة رغم الصراع الشديد بين الأئمة على الحكم حتى بلغ الأمر ببعضهم الى المشاجرة فالقتل.

وبينما هم على هذه الحالة اذ تأتي الطامة الكبرى وهي بداية المرحلة

الخامسة فقد أرسلت الحكومة البرتغالية حملة صليبية تبشيرية مزودة بالأسلحة النارية التي ظهرت لأول مرة في ذلك الحين فجاءت عن طريق رأس الرجاء الصالح للسيطرة في ظاهر الأمر على الطرق البحرية لاحتكار التجارة الدولية وإحكام قبضة أيديهم على مصادرها، ولكنهم كانوا يهدفون في قرارة أنفسهم الى اعادة الكرة بشن حروب صليبية أخرى على المسلمين، فقد أشاعوا انهم سيهاجمون المدن المقدسة عند المسلمين، وشجعهم على ذلك بل وجرأهم زوال الدولة العربية الإسلامية من الأندلس على أيدي الأسبان، وماكان في استطاعتهم فعل شيء في المسلمين لولا انقسامهم على أنفسهم واستعانة حكام بعضهم بالافرنج على بعضهم الآخر مما يسر القضاء على دول الطوائف جميعها، وما أشبه اليوم بالبارحة، وقد جابت السفن البرتغالية مياه البحر الأحمر في محاولة منها الى النزول في موانىء الحجاز فلم يجرأوا ونزلوا في جزيرة كران ثم تخلوا عنها بعد ردم آبارها وهدم معاقلها واتلاف أبرز معالمها، ثم ذهبوا الى عدن ونزل بعض قواتهم الى سواحلها، ولم يطق البقاء فيها كثيرا لحصانة المدينة فيممت بعدئذ صوب الخليج وتمكنت من نزول قواتها في بعض الشواطىء العمانية وتحصنت بمعاقلها، ولولا الصراع بين أئمتها لما تمكنت تلك القوى الغازية من وجود موطىء قدم لها، ولم تلبث الا قليلاً حتى هب المسلمون وعلى رأسهم قوات من الجراكسة جاءت من مصر للدفاع عن ديار المسلمين فاندفع العمانيون لمقاومة وجود البرتغاليين، وكان لإمام عمان سلطان بن سيف بن مالك نشاطاً بارز في ملاحقة سفن النصارى، وقتل من ظفر به منهم كما يتضح ذلك من رسالته الى امام اليمن المتوكل اسماعيل الذى سبق الإشارة اليه في صدر هذه الكلمة حيث قال: «واتضح لناس واضح نطقه ـ أي من نطق رسول المتوكل الى إمام عمان ـ بيانه أنكم علينا عاتبون ومنا واجدون لأجل قطع خدامنا في العام الماضي مراكب رقاب المشركين على بابكم،

وأخـذهم لسفنهم الواردة لجنـابكم، ولعمري انـا لندري أن العتـاب بين الأخلاء عنـوان المودة الخالصة والصفاء، وزائد محض المودة الصـادقة والوفاء. غير أنه يجب عند اقتراف الجرائم وانتهاك المحارم، فانا نحن لم نقصد الى انتهـاك ذلك سبيلاً، ولا نجد لك على الـزام فعل ذلك دليلاً، اذ كنا لم نجهز مراكبنا ونتخذ مخالبنا لسيارة رعيتك ولا استباحة دم أهل حكمك وقضيتك، ولكن جهـزنا الجيـوش والعسـاكر، وأعـددنا اللهـاذم والبواتر لتدمير عبدة الأوثان وأعداء الملك الديان تعرضاً منا لرضاء رب العـالمين واحيـاء لسنـة نبيه الأمين، ورغبـة في ادراك أجـر الصـابـرين المجـاهدين. وحـاشا لمثلـك أن يغضب لقتال عبـدة الأصنام وأعـداء الله والإسلام ثم أخذ يخاطب إمام اليمن قـائلاً له «ألست من سلالة علي بن أبي طالب السـاقي للمشركين وبي المشارب. أنت تدري بما جـرى بيننا واياهم من قبل في سـواحل عمان، وفي سائر الأمـاكن والبلدان من سفك الدماء وكثـرة الصيال، وتناهب الأملاك والأمـوال، وانا لنأخذهم في كل موضـع تحل بـه مراكبهم وتغشاه حتى من كنج وجيرون بنـدري الشاه ولم يظهر لنا من أجل ذلك عتاباً ولا نكيرا».

وقد انزعج النصارى من المقاومة العنيدة لهم التي أظهرها العمانيون فكتب النصـارى الى إمام عمان سيف بن سلطـان اليعربي المتـوفى سنة ١١٢٣ هجرية هذا الخطاب كما ورد في «تحفة الأعيان» (ج٢/١٠٨).

«الحمد لله فـاطر السموات والأرض أنت تحكم بين عبادك فيما كـانوا يختلفون، اعلـم بأننا جنود الله مخلقـون من سخطه، مسلطـون على من يحل عليـه غضبه، لانـرق لشاكي، ولا نـرحم عبرة بـاكي، قد نـزع الله الرحمة من قلـوبنا فـالويل كل الـويل لمن لم يمتثل لأمرنـا وقد خـربنا البلاد، وأهلكنـا العباد، وأظهرنـا في الأرض الفساد فـان أعجبكم شرطنا كـان لكم ما لنـا وعليكم مـا علينـا. وان أنتم أبيتم، وعلى بغيكم تماديتم فالحصون منا لاتمنع،والعساكر لدينا لاترد ولا تدفع لأنكم أكلتم الحرام

وضيعتم الجمع فـابشروا بالـذل والجزع اليوم تجزون عـذاب الهون لما كنتم تعملون. فان أعجبكم كلامنا إننا كفره، وقد صار عندنا انكم فجرة، قلوبنـا كالجبال وعددنـا كالرمال، كثيركم عنـدنا قليل، وعزيزكم عنـدنا ذليل. وقد ملكنا الأرض شرقاً وغرباً وأخذنا من كل سفينة غصاً.

قد أرسلنـا اليكم هذا الكتـاب فأسرعوا بـرد الجواب قبل أن ينكشف الغطاء، ولم تبق لكم بـاقية، وينادى عليكم بـالفناء (هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركـزاً) وقد أنصفناكم وأرسلنا عليكم جـواهر الكلام والسلام.

وقد أجاب عليه الإمام بما يلي:

﴿ قل اللهم مـالك الملك تؤتي الملك من تشـاء وتنزع الملك ممن تشـاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير كله إنك على كل شيء قدير ﴾

قـد حصل الوقـوف على هذه الكتبـة الشـاهرة لقـولكم: قد نـزع الله الـرحمة من قلـوبكم ، فهـذا من أقبـح عيـوبكم، وأشـد اشنع، وبغيتم، وذكرتم انكم كافرون ألا لعنة الله على الكـافرين، من تعلق بالأصول فلا يبالي بالفروع، ونحن المؤمنون حقاً لايصدنا عنكم عيب، ولا يدخلنا شك ولا ريب، والقرآن علينـا قد نزل، فهـو رحيم بنا لايـزل، وخيولنا بـرية وبحريـة وهممنا سامية عليـة، ان قتلناكم فنعم البضاعة، وان قتلتمـونا فبيننا وبين الجنة ساعة ﴿ ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عنـد ربهم يرزقون فـرحين بما آتاهم الله من فضلـه ﴾ وقولكم : قلوبكم كالجبـال، وعددكم كالرمـال: الجزار لايبالي بكثرة الغنم الكثيرة، وان الله مع الصابرين فنحن بـالمنع عالية أمينة، ان عشنـا عشنا سعداء، وان متنا متنا شـهداء ﴿ألا ان حزب الله هم الغالبون﴾ فقل لصاحبك: اذا رصع وشيد مقالته حصل الوقـوف على هذا الكتاب كصرير باب وطنين ذباب ﴿سنكتب ما قالوا ونمد لهم من العـذاب مداً﴾ وما عندنا بعد ذلك إلا الخيل تمطر بالويل، والنار مظهرة العار، والسيوف مسقية بالحتوف،

والسلام على من اتبع الهدى، وخشي عواقب الردى، وأطاع الملك الأعلى واختار الآخرة على الأولى، والصلاة والسلام على خير الأنام محمد عليه أفضل الصلاة والسلام.

ويعقب هذه الفترة مرحلة أخرى يحتدم فيها الصراع بين الأئمة اليعاربة لينتقل ملك البلاد منهم الى آل بوسعيد، وأول من تملك منهم السيد أحمد بن سعيد.

ومن أبرز من تولى زمام الحكم منهم في المئة الثالثة عشرة للهجرة وربما في المتقدمين السيد سعيد بن سلطان الذي وطد نفوذ الدولة البوسعيدية في شرق افريقيا وامتد نفوذه الى بلاد فارس فكان لواليه عليها سيف بن نبهان يد كبرى في تملك قلاع كثيرة ومناطق شاسعة لحزمه وسياسته الحكيمة، ولكنه بمجرد وفاة السيد سعيد بن سلطان في عرض البحر وهو عائد من عمان الى زنجبار حتى انقسم أولاده على أنفسهم وانقسم ملك أبيهم فكان للسيد ثوينى عمان وللسيد ماجد شرق افريقيا الذي ما لبث أن نازعه أخوه السيد برغش حيث يتوقف السالمي فى كتابه عند هذه المرحلة من التاريخ العماني . راجياً أن اكون قد وفقت فيما عرضت له فى هذه العجالة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

القراءة الثالثة :

السالمي

« المجتهد المجدد »

إعداد / فضيلة الشيخ ناصر بن محمد المرموري

التقديم :

الحمد لله الذي أوضح معالم الهدى، ولم يترك الناس سدى، بل أرسل رسله بالهدى ودين الحق، وأيدهم بدلائل الصدق، حتى يكونوا هداة للخلق، وختمهم بامام المرسلين، وقائد الغر المحجلين، فأنزل عليه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، واتاه الحكمة وفصل البيان، فدعا الى سبيل ربه حتى أتاه اليقين، فالتحق بالرفيق الأعلى، وقد خلف فينا ما إن تمسكنا به لن نضل أبداً، كتاب الله وسنته المبينة، ثم قام بالأمر بعده، العلماء ورثة الأنبياء، وخلفاء الرسل، فنهضوا بمسئولية التبليغ والدعوة من بعده، ولم يألوا جهداً في الإرشاد والتبيين، ولا يزالون يتوارثون الأمر، خلفاً عن سلف، وكذلك كتب الله على نفسه الرحمة، على هذه الأمة، أن يهيء لها من أمرها رشداً، فكان يبعث فيها على رأس كل قرن عالماً يجدد لها أمردينها ، يدفع عنه تأويل الجاهلين المبطلين، وانتحال الغالين، أولئك أقمار الدجى، وشموس الهدى، كلما خلا منهم سلف حميد، قام منهم خلف رشيد، يقيم حجة الله على عباده وينير الطريق لرواده ويهيء حوض العلوم لوراده، في مواكب يقتفي لواحقها بسوابقها، وقوافل تترى كلما مضت أوائلها تبعتها في نهجها القويم أواخرها، تلك هي منة الله على عباده المؤمنين ، يبعث فيهم هداة مرشدين، ولايتركهم حيارى تائهين، وكان فضل الله عظيماً على المؤمنين.

ومن هؤلاء العلماء العاملين، ذلك الطود الراسخ، والعلم الشامخ، العالم النحرير، والمجتهد الكبير، والبدر المنير: نور الدين الشيخ أبو محمد عبدالله بن حميد بن سلوم السالمي العماني ـ رضي الله عنه ـ وجازاه على خدمة العلم خير جزاء وأوفاه.

التعريف بالشيخ الســـالمي

ـ رحمه الله ـ

هو الشيخ العلامـة : نور الدين أبو محمد عبـدالله بن حميد بن سلوم السالمي، ولـد في بلدة الحوقين من أعمال الرستاق من أبـوين كريمين في عام (١٢٨٦هـ) ونشأ بها وتعلم القـرآن، وحفظه على والده حميـد بن سلوم بـن عبيد، وقـد رزقه الله حافظـة قويـة، فكان لايسمـع شيئاً الا ويحفظه، وقد كف بصره في السنة الثامنـة عشرة من عمره، فعوضه الله عنه نـوراً في بصيرته، فكان لايكـاد ينسى شيئاً مما حفظـه ويعيه فهماً وفقهاً وكان ذا عزيمـة قوية صارمة تفل الحديد فبـز أقرانه علماً وأدباً وفقهاً وتحقيقاً.

شيوخه والفنون التي أخذها عنهم:

وقـد التحق بالـرستـاق، ولازم مجالس علمائهـا الأفاضل يكـرع من مناهلهم الصـافية الغـزيرة، وكانت الـرستاق يومـذاك عامـرة بمجالس العلماء، فظل شيخنا ملازماً لهم حتى بعد ذهابه الى الباطنة، ومن هؤلاء وفي مقدمتهم: الشيخ ماجـد بن خميس بن راشد العبري، والشيخ راشد بن سيف اللمكي، والشيـخ محمـد الهاشمي، والشيخ محمـــد بن سيف الـرحيلي، والشيخ محمـد بن مسعـود البوسعيـدي، وقـد لازمهم اثنين وعشرين عـامـاً (٢٢) ، ثم انتقل من الرستـاق الى الشرقيـة، حين سمع بفضل العـالم الكبير: الشيخ صـالح بن علي الحارثي، فنـزل أول الأمـر ببلـدة المضيبي في جوار الشيخ سلطـان بن محمـد الحبسي، ثم انتقل الى القابل بلد الشيـخ صالح المذكور، وهناك استقر، وألقـى عصا التسيار ، فلازمه ست سنوات (٦)، الى أن وافـاه أجله، فخلفه بعده في نشر العلوم والـدعوة والارشـاد وأكثر مـا أخذ العلم عنـه، ويمكننا القـول إن نسب الدين في عمان، جاز على الشيخ السالمي على طريق شيخه صالح بن علي لكثـرة ما درس عليـه من فنون العلم، فقـد أخذ عنـه التفسير والحديث

وأصول الدين وأصول الفقه والنحو ، والصرف، والمعاني والبيان والبديع والمنطق ، ثم بعد وفاة شيخه ظل ينشر هذه العلوم في طلبته الذين أصبحوا بعد أكثر شيوخ أهل عمان.

تلاميذه ومعاصروه في المشرق والمغرب:

لانبالغ اذا قلنا إن جل شيوخ عمان في القرن الرابع عشر (١٤) أغلبهم من تلاميذ الشيخ السالمي ـ رحمه الله ـ وفي مقدمتهم: الإمام محمد بن عبد الله الخليلي، ومنهم: الإمام سالم بن راشد الخروصي، ومنهم الشيخ ناصر بن راشد، والشيخ عامر بن خميس المالكي، والشيخ عيسى بن صالح الحارثي، والشيخ عبدالله بن محمد أبو زيد الريامي، والشيخ سعود بن حميد، والشيخ محمد بن سالم الرقيشي، وابن غابش، وغيرهم كثير وكثير، انتشروا في القطر العماني انتشار النجوم، ينشرون النور ، ويهدون الناس الى صراط الله القويم.

ومن تلاميذه ولداه العالمان الشيخ حمد بن عبدالله والشيخ محمد أبو سليمان ـ رحمهما الله ـ .

مؤلفاته وآثاره :

ترك ـ رحمه الله ـ مؤلفات كثيرة في مختلف الفنون منها: في أصول الدين منظومة في ثلاثمائة بيت من الرجز، سماها «أنوار العقول» وقد شرحها مرتين، شرحها شرحا مختصراً سماها: «بهجة الأنوار» ثم شرحاً مطولاً سماه «مشارق الأنوار». وله أيضاً في التوحيد قصيدة في سبعة وسبعين بيتاً جمع فيها قواعد التوحيد وما لا يسع المكلف جهله سماها صواب العقيدة ، وله أيضاً منظومة فى التوحيد محكمة سماها «غاية المراد في الاعتقاد» وله أيضاً في الموضوع: «كشف الحقيقة لمن جهل الطريقة» منظومة. كما ألف في أصول الفقه ، فقد نظم أرجوزة في ألف بيت سماها «شمس الأنوار» في أصول الفقه من أبدع النظم وامتنه

شرحها في مجلدين شرحاً ضافياً سماه «طلعة الشمس» . ومن مؤلفاته شرح مسند الإمام «الربيع بن حبيب» في ثلاثة مجلدات، وله في الفقه منظومة تنيف على ألفي بيت نظم فيها مختصر الخصال، للشيخ أبي اسحاق ابراهيم بن قيس الحضرمي — رحمه الله - وشرحها في ثمانية مجلدات ضخمة في شرح بديع في فقه مقارن سماه «معارج الآمال على مدارج الكمال» انتهى فيه إلى الاعتكاف، وقد انتصف ماكان نوى أن يتمه، فقد كان ناوياً أن يجعله في ستة عشر مجلداً لو لم تعاجله المنية، وله في الفروع كتاب «تلقين الصبيان» ومن أجل مؤلفاته كتاب «جوهر النظام» في الأديان، وهو أرجوزة تنيف على أربعة عشر ألف بيت في أسلوب سلس محكم متين، قل أن يكون له نظير، وله في الفتاوى والمسائل كتاب: «العقد الثمين» في سبعة أجزاء.

ومن مؤلفاته كتاب «المنهل الصافي في العروض والقوافي» في أرجوزة شرحها شرحاً بديعاً ولم نستقص كل مؤلفاته، وانما ذكرنا منها ما تم طبعه وتناولته الأيدي.

وله أيضاً كتاب «الحق الجلي في سيرة صالح بن علي» وله كتاب «الشرف التام في شرح دعائم الإسلام» شرح فيه بعض قصائد ابن النضر صاحب الدعائم. ومن تآليفه كتاب قيم جمع فيه تاريخ عمان سماه: «تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان» جعله في جزأين، ويذكر له ديوان شعر بديع في منتهى البلاغة. وليست آثاره محصورة في تآليفه ورسائله وفتاويه نثراً أو نظماً ورجزاً ، بل كان غرسها غرسا طيباً فى قلوب تلاميذه، وأفكارهم، هؤلاء التلاميذ الذين انتشروا في كل مكان ينشرون العلم، ويخرجون الناس من ظلمات الجهل الى نور العلم، تقبل الله منهم، وجزى الله كلا من المعلمين والمتعلمين خير جزاء.

وفاتــه ومدفنـــه:

توفي الشيخ نور الـدين السالمي ـ رحمه الله ـ في بلـدة تنوف في شـهر ربيع الأول من عـام اثنين وثـلاثين وثـلاثمائة وألف (١٣٣٢هـ) من هجرة الرسول ﷺ، ودفن في البلد الذي توفي فيه بجنب قبر الشيخ حمير ابن ناصر النبهاني، وقـد توفي عن سن تناهز السـادسة والأربعين وكان سبب موته سقوطه من راحلتـه وهو ذاهب الى تنوف ليصلح خللاً وقع بينـه وبين شيخـه ماجـد بن خميس العبري من أجل فتـواه أي فتـوى الشيخ السالمي في الأوقاف التى وقفت على قـراءة القرآن على المقابر، انها ترجع الى الـورثة، فلما سمع الشيخ مـاجد بهذه الفتـوى غضب، فذهب اليه الشيخ السـالمي لإزالة ماحدث من الجفـوة وليصلح الخلل ،ويرجع العلائق الى ما كـانت عليه ـ فرحم الله الشيخين وجـازاهما عن الاسلام خير الجزاء، وكفانا شر الشقاق والخلاف.

وكانت وفاة الشيخ السالمي في نفس الشهر الذي توفي فيه قطب الأئمة الشيخ اطفيش ـ رحمه الله ـ وفي نفس العام الذي توفي فيه الشيخ التقي عبد الله بن يحيى البـاروني في جبل نفوسـة ـ رحم الله هـؤلاء الأقطاب الثلاثـة ـ وقد تهاطلت المراثي على الشيخ السـالمي ، وأجودها مـرثيتان للشيخ أبي مسلم ناصر بن سالم بن عديم الرواحي ـ رحمه الله ـ .

يصدر مرثيته الرائية بقوله:

ريب المنون مقـارض الأعـمار ... وحياتـنا تعدو الى المضمار
والنفس تلهو فوق تيار الردى ... ياليتـها حـذرت من التـيار
قرت على رنق وزخرف باطـل ... مثـل القـرار على شفـيرهار

وفيها يقول ـ رحمه الله ـ :

مالنـا نبـكي الفقـيد ونحـن من ... حـب الـذي أرداه في استهتار
شغف النفوس بما يراقبه الفـتى ... وأثر الهـوى وتغرة الأوطـار

وفيها يقول :

ماالهول من يوم النشور أشد من ... هول النعي بسيد الأبرار
العالم القطب المجدد عمدة العلـ ... ـعلماء طراً كعبة الأسرار
ليث المعارك مربع الفضل الذي ... رفع المنار ولات حين منار
حامي حمى الإسلام حجته ... معز الدين سيف الملة البتار
بحر المعارف والكمال مسدد الأعمـ ... ـال في الإقبال والإدبار
السالمي أبي محمد المنيف الذكـ ... ـر طود المجد بدر الساري

ويمضي في الانشاد حتى يقول :

يامن أذاب الصخر حر مصابه ... من ذا تركت لدولة الأحرار
وزعت بين الدين والوطن الأسى ... توزيعك الطاعات في الأطوار
ودعوت في الإسلام دعوة مخلص ... ثابت اليك بها ذوو الأبصار
ثابت اليك عصائب وهبية ... من أسد ذي يمن وأسد نزار

ثم يصدر القصيدة اللامية بقوله:

نكسي الأعلام يا خير الملل ... رزىء الإسلام بالخطب الجلل

وفيها يقول:

يارجال العلم أودى قطبكم ... بل جميع العلم أودى والعمل
فتكت بالسالمي المرتضى ... غارة شعواء ما عنها حول
عجباً من نعشه تحمله ... فتية وهو على الكون اشتمل
جمع العالم في حيزومه ... أثر العالم في القبر نزل

ويمضي فيها منشداً حتى يقول في أواخرها :

ما فقدناك وعرفناك في صفحات الكون ضوء يشتعل
إن رب العلم حي خالد ولو أن الذات بالموت انتقل
ما تركت الكون حتى تركت خطة الحمد لك الحمد الجلل

وأقول مع القائلين:

لله ما حويت ياتنوف ضممت بحرا دره صنوف
شمس العلوم مالها كسوف وأزور فيك نورها المعروف
لكن جلا ضياءها التأليف فيه الهدى والنور والكشوف
أضفى عليك ربنا الرؤوف سحائباً وابلها وكوف
وغمرتك بالرضى ألوف من رحمات ربنا تطوف

مميزاته ومنزلته بين العلماء:

لقد كان الشيخ السالمي ـ رحمه الله ـ ورضي عنه ـ على جانب عظيم من العلم والفقه والسداد وحسن النظر، فهو معدود من العلماء المجتهدين دوي الفهم والبصائر، وفي مثله يقال: «كم ترك الأوائل للأواخر» فهو من المجددين الذين جاء الحديث في وصفهم «ان الله يبعث في هذه الأمة على رأس كل قرن عالم يجدد لها أمر دينها، ينفي عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين».

لقد كان الشيخ ـ رحمه الله ـ كوكبا دريا بين أقرانه العلماء، يمتاز بمميزات ظاهرة لاتنكر، يظهر ذلك في مؤلفاته مثل : شرحه لمسند الإمام الربيع بن حبيب، وفي كتاب «معارج الآمال» الذي هو موسوعة علمية، ذات قيمة فاخرة، وفي فتاويه التي حررها أحسن تحرير، وقررها على الدليل الصحيح والمنطق السليم، أيما تقرير فلنأخذ لذلك مثلاً، شهادة ثلاثة من أفاضل علماء عصرنا، وهم : الشيخ أبو اسحق في تقديمه على جوهر النظام، والشيخ عز الدين التنوخي في تقديمه على شرح الشيخ

للمسند في الحديث، والشيخ محمد محمد الدهان، في تعقيبه على الجزء الأول من فتاوى الشيخ السالمي ـ رحمه الله ـ.

كلمة أبي اسحاق ابراهيم اطفيش:

ظهر ذلك العلم الفخم، أحد أقطاب العلم المجتهدين العلامة، المحقق: نور الدين أبو محمد عبدالله بن حميد بن سلوم السالمي، كان معروفاً بغزارة العلم والاجتهاد، اليه انتهت رئاسة العلم بما بلغنا بعمان، وظهر ذلك في تآليفه الجمة في مختلف الفنون الشرعية، والعربية، وهو من أهل التحقيق والاجادة في التأليف، كان ـ رحمه الله ـ ضريراً قوي الذاكرة في منتهى الذكاء والفطنة، ذكر تحدثاً بنعمة الله، في بعض تآليفه، أنه وقع أمامه حادث وهو في المهد، ولما كبر ذكر مابقي في ذهنه لوالديه، فحسبوا ما مضى من أيامه، فاذا هو ابن عشرين يوماً (ان لم تخني الذاكرة) وكان شديد اليقظة على تطورات الأمة بعمان ـ أقول وفي سائر البلاد الإسلامية ـ .

كلمة الشيخ عز الدين التنوخي ـ رحمه الله ـ :

يقول الشيخ عز الدين التنوخي في مقدمة شرح المسند: «ويفهم من شرح هذا المسند أن الشارح من المستمسكين بالحديث الصحيح، وأرباب العقل الراجح والمعظمين للرسول ﷺ في أقواله، والمهتدين بسنته وأفعاله، فهو في شرحه لهذا المسند يمحص أقوال العلماء، ويختار على أقوال أهل المذهب ما صح من حديث الرسول ﷺ فليس هو ممن يرى العمل على الفقه لا على الحديث، قال «شارح الصراط المستقيم» : اذا وجد تابع المجتهد قولاً صحيحاً مخالفاً لمذهبه هل له أن يعمل به، ويترك مذهبه؟ فيه اختلاف. فعند المتقدمين له ذلك. قالوا: لأن المتبوع والمقتدى به هو النبي ﷺ ومن سواه فهو تابع له، فبعد أن علم وصح قوله ﷺ فالمتابعة لغيره غير معقولة، قلت : ولذلك لايجوز التعصب للمذاهب

تعصباً يستهتر به، بحديث الرسول ﷺ فان ذلك من الفسق، والبعد من الدين، والخروج على سيرة الصحابة والتابعين ومن هؤلاء المتعصبين الجامدين كما يقول بعض الأئمة من اذا مر عليهم حديث يوافق قول من قلدوه انبسط، واذا مر عليهم حديث يخالف قوله أو يوافق مذهب غيره، ربما انقبضوا ولم يسمعوا قول الله تعالى ﴿ فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾.

وماكان أهل عمان أقرب فرق الخوارج الى أهل السنة، الا أن مذهبهم كما اطلعت عليه مبني على السنة وتقديم العمل على الحديث لا على الفقه والمذهب عملاً بما جرى عليه امامهم جابر بن زيد الذي عمل بنصيحة شيخه عبدالله بن عمر الذي روى عنه.

فقد جاء في الحجة البالغةأن ابن عمر قال لجابر بن زيد: «انك من فقهاء البصرة فلا تفت الا بقرآن ناطق، وسنة ماضية، فانك ان فعلت غير ذلك هلكت وأهلكت» ، ولذلك نعتقد ونقول : ان المعقول ومن القلب المقبول أن لانهتدي الا بقوله تعالى ﴿ فإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ﴾ ، انتهى.

ويقول الشيخ محمد محمد الدهان :

في تعليقه على الجزء الأول من فتاوى الشيخ السالمي ما نصه: «وبعد فقد رغب إليّ الأخ الصادق في محبته، المخلص في صحبته العلامة الشيخ سالم بن حمد الحارثي بالإشراف على طبع وتصحيح كتاب: «العقد الثمين» ، للعلامة الجليل فخر المتأخرين وسابق المتقدمين الشيخ أبي محمد عبدالله بن حميد السسالمي، فشكرت له حسن ثقته وبدأت أطالع هذا الكتاب المبارك فوجدت نفسي أمام موسوعة نادرة في شتى مجالات العلم وألوان المعرفة، تجلت فيها شخصية المؤلف الفذة، وإدراكه

الشامل، وبصيرته النيرة، وعقله الكامل ، ولا غرابة في ذلك، فانه رغم حداثة سنه، وفقد بصره، خلف جيلاً من أكابر العلماء، ترجع اليهم الأمة في شؤون دينهم، وأمور دنياهم، وزود المكتبة الإسلامية بالكثير من الكتب القيمة، والمؤلفات النافعة ...اهـ.

اجتهاده وتجديده وأمثلة أخرى:

لقد كان الشيخ السالمي ـ رحمه الله ـ مجتهداً محققاً، مجدداً، لايرجح من الأقوال إلا ما أيدته الدلائل من الكتاب والسنة الصحيحة أو الإجماع أو القياس الصحيح، أو الاستدلال والاستحسان، والمصالح المرسلة، المعتبرة في موازين الشرع الحنيف، التي تحقق مقاصد الشريعة الإسلامية، وكل كتاباته ناطقة بذلك، ماكان منها نثراً وما كان نظماً، ولئن أتينا بنماذج من ذلك فلغرض التمثيل لا الحصر، وهذا نموذج من نظمه الذي يقول فيه:

وربما أخالف المشهورا ... وأذكرن ما لم يكن مذكوراً
لأنني أقفو الدليل فاعلما ... لم أقتصر على مقال العلما[1]
فالعلماء استخرجوا مااستخرجوا ... من الدليل وعليه عرجو
فهم رجال وسواهم رجل ... والحق ممن جاء حتماً يقبل

وفي الجوهر يقول الشيخ، : (فنحن)

فنحن حيث أمر القرآن ... لا حيثما قال لنا فلان

---

(١) يقول محقق الجوهر المعلق الشيخ أبو اسحاق ابراهيم اطفيش في تعليقه على هذا البيت: يخبرنا المصنف ـ رحمه الله ـ في هذه الأبيات تحدثاً بنعمة الله انه يستند على الدليل لا على كلام العلماء، ولا على مجرد الترجيح، شأن العلماء المجتهدين الذين نبذوا التقليد وراءهم ظهرياً، واعتمدوا على الإعتداد بالدليل. واستنباط الأحكام منه، وذلك مشاهد في تآليفه. ويشير في كلامه الى ماروي عن بعض من الصدر الأول، لما سئل فقال: ماجاء عن الله ورسوله فعلى الرأس والعين، وما جاء عن الصحابة فبعضه مقبول وبعضه مردود، وماجاء عن التابعين، فهم رجال ونحن رجال، وليس الناظم ـ رحمه الله ـ ممن يسودون ويقولون نحن مؤلفون، ولا من الذين يتهوكون، ويحتطبون بالليل، ولكنه محقق ومدقق، جزاه الله عن العلم والدين خير جزاء، ونفعنا بتاليفه.

ويقول في تقديم الحديث على القياس:

نقدم الحديث حيث جاء على قياسنا ولا مراء

(جوهر النظام)

ويقول في المشارق:

والأصل في الفقه كتاب الباري إجماع بعد سنة المختار
والاجتهاد عند هذي منعاً وهالك من كان فيها مبدعاً
والرأي في غير الأصل جوزا وواجب أن نتحرى الأجوزا

(مشارق الأنوار) ـ باب العلم ـ

نماذج من فقهه من خلال مؤلفاته وفتاويه:

لقد كان الشيخ السالمي ـ رحمه الله ـ معجباً بأهل التخريج والتفريع، والتحقيق، من علماء المذهب، مثل : الشيخ أبي سعيد الكدمي، والشيخ أبي محمد عبدالله بن محمد بن بركة، والشيخ أبي نبهان جاعد بن خميس الخروصي، يسميهم أهل التحصيل.

وكان يقول في تحريه الأدلة، والتمسك بها، والإعراض عن التقليد (حسبك أن تتبع المختار، وإن)

حسبك أن تتبع المختارا وإن يقولوا خالف الآثارا

ولنأخذ أولاً نموذجاً من رأيه في الاجتهاد، يتبين منه مدى تعمقه في الفقه، وتحرره من قيود التقليد الأجوف، وتحريه في طلب الدليل (من العقد الثمين) جاء في فتاوى الشيخ في الجزء الأول منها مانصه : سئل الشيخ ـ رحمه الله ـ عن قول الشيخ سليمان بن يخلف بأن الاجتهاد مخصوص بالنازلة التي لم تكن في الكتاب ولا في السنة، ولا في آثار المسلمين الذين كانوا قبل النازلة، كيف الوجه في ذلك، وكيف الذين لم

يكونـوا قبلها، لايجوز لهم الإجتهـاد وهي مسألة رأي مع أنـا شاهـدنا المسلمين يضربون صفحاً عن بعض الآراء الى ما رأوا.

فأجـاب ـ رحمه الله ـ قال : لاوجـه لما قالـه الا على رأي من يجوز للمجتهـد أن يقلـد غيره، وهو قـول ضعيف جـداً، بل الحق أن عليـه أن يستعمل اجتهاده، ويأخذ بما رأى في ذلك ، وهو أيسر القول والله أعلم.

وسئل عمن حفظ مسألـة من أثـر المسلمين أو من سـؤالـه للعلماء، أيجوز له أن يفتي بهما من جاء يسأله عنها، وهو محتاج اليها؟

فأجاب ـ رحمه الله ـ قـال: إن كان في الأرض مفت أعرف منه وأبصر بأمـر الدين، فـلا يفت مخافـة الخطر، وان كـان النـاس محتاجين اليـه ولايجدون من هو أعرف منه، فلابأس أن يعلمهم بما وجده في الأثر، أو أخذه من الأشياخ، والله أعلم. اهـ (من طلعة الشمس الجزء ٨)

ويذكر ـ رحمه الله ـ في معرض حديثه عن ضرورة علم أصول الفقه، وهو ينـدد بالجمـود، يقول في شرحـه للبيت الذي في منظـومته «شمس الأنوار» في أصول الفقه. :

وبعـد فالعلـم بفـن الفقـه منـدرج تحـت أصـول الفقـه

يقول في الشرح: وفن الفقه هو النوع المخصوص من العلوم، وسيأتي تعريفه في اضافة الفن الى الفقـه إضافة المسمى إلى اسمه، لأن الفقه اسم للفن المخصوص بما سيأتي ومنـدرج أي منطو، وأصـول الفقه علم على الفن ، وسيأتي تعريفه أيضاً، والمراد بانـدراج الفقه تحته هو أن معرفة الفقه متـوقفة على معـرفة أصـول الفقه، ولـذا قال صـاحب الايضـاح ـ رحمه الله تعـالى ـ : «من لم يتحكـم على الأصـول قلما تتحصل عنـده الفصول». وقـال بعضهم: «مامنعهم من الوصـول إلا تضييع الأصول، فلما بطلوا تعطلوا» . ثم يستمر في شرحه ومناظراته، حتى يقول: «وأهل زماننـا تعذر عليهم الـوصول الى استنبـاط الأحكام من أدلتهـا، إلا بعد معرفة اصطلاحات الفن وممارسة قواعده وضبط علله وقوادحه إجمالا وتفصيلاً، وقـد رغب عن ذلك كثير من أهل زماننـا لجهلهم، بما فيه من

التحقيق، وصعوبة ما فيه من التدقيق فقصارى متفقههم حفظ أقوال الفقهاء، وغاية نباهة أحدهم رواية ما قاله النبهاء، لايدرون غث الأقوال من سمينها، ولا خفيفها من رزينها، قد حبسوا في التقليد المضيق، عن فضاء التحقيق، وليتهم لما وقفوا هنالك عرفوا منزلتهم بذلك، ولم يدع احدهم منزلة ابن عباس، ويقول: «ايها الناس فإنا لله وإنا اليه راجعون، فذهب العلم وأهلوه، وبقى الجهل وبنوه،» اهـ.

ومن طلعة الشمس أيضاً (الجزء الثاني) ، ويقول ـــ رحمه الله ـ في باب الاجتهاد في أواخر الجزء الثاني من كتابه (طلعة الشمس):

وإن أطاق الاجتهاد حَرُمَا ... عليه تقليد سواه فاعلما
وقيل لا يحرم حتى يجتهد ... بعد الاجتهاد فالمنع يرد
وقيل بل يجوز مطلقاً وفي ... هذا من البطلان ما لايختفي
وقيل إن كان صحابيا يصح ... وقيل لا وهو المقال المتضح
وقيل إن كان يفوت العمل ... بالاجتهاد جاز وهو الأسهل

وهو يقول في الشرح: لايصح ان أطاق الإجتهاد في شيء من المسائل الظنية أن يقلد غيره فيها، ولو كان الغير أعلم منه، أو صحابياً، بل يجب أن ينظر لنفسه ما هو الحق في حقه، ويحرم عليه تقليد غيره، سواء اجتهد في تلك الحادثة، فظهر له الرابح فيها، أم لم يجتهد، ويمضي في الشرح الى أن يقول: وقال محمد بن الحسن: يجوز تقليد الأعلم فقط، لأن الظن بصواب من هو أعلم منه، أقوى من الظن بصوابه ورد بأنه رجوع من الواضح الى المشكل، وقيل انه يجوز تقليد الصحابي لاغير، لقوله ﷺ : «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم». ورد بأن ذلك، انماهو في حق من يصح له التقليد، أما المجتهد ففرضه العمل باجتهاده، وقال ابن بركة: تقليد الصحابي جائز في بعض الأحكام، ثم قال بعد : يجوز تقليد الواحد منهم إذا قال قولاً ولم ينكر عليه غيره، وأما اذا علم له مخالف فلا» .. إلخ.

من شرحه للمسند (جزء ٨) ما جاء في الرقعة في الصلاة ـ أبو عبيدة عن جابر بن زيد، عن أنس بن مالك، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إذا ثوب للصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون وآتوها وعليكم السكينة والوقار، وما أدركتم فصلوا، ومافاتكم فاقضوا ، فان أحدكم في صلاة ماكان يعمد الى صلاة».

يقول الشيخ ـ رحمه الله ـ في أثناء شرحه للحديث: «قوله وما أدركتم فصلوا» أي مع الإمام، وفي رواية بالفاء قوله : «ومما فاتكم فاقضوا» أي فأدوا كما أمرتم، وهو معنى الإتمام، وفي رواية أبي قتادة، فان أكثرهم رواة بلفظ«فأتموا» وروي أيضاً «فاقضوا» كما في رواية المصنف، والمعنى واحد، والأداء يسمى قضاء، ومنه قضاء الدين[1] ، وانما وقع الفرق بينهما في اصطلاح الأصوليين فقط، وهو اصطلاح جديد لايصح أن يحمل عليه معنى الحديث. فليس فيه حجة لمن قال: إنما أدرك هو آخر صلاته، ولا لمن قال، هو أولها، لكن يستفاد من قوله: «ومافاتكم» ، إن أول الصلاة قد فاته مع الإمام، فلم يدرك إلا ما بعد ذلك، فهو يصلي ما أدرك ويقضي ما فاته، والذي أدركه هو آخر صلاة الإمام فيلزم أن يكون آخر صلاته، لأنه به أمر، فهذا هو موضع الاستدلال ؛ لا في قوله: فاقضوا أو أتموا، كما وقعت عليه الأفهام حتى لاتجد مستدلاً بغير ما ذكرته من وجه الاستدلال كالنص على أن ما فاته أول صلاته، وما أدركه آخرها، والله أعلم، وبه التوفيق والتسديد». اهـ.

فأنت ترى هذه النكتة اللطيفة، والمعنى الدقيق، الذي يخفى على كثير من الناس ولا يتفطن له الا الفحول من العلماء، أولي السبق ، والتعمق في الفهم.

وفى شرح المسند أيضاً (الجزء ٣) ـ ماجاء في وجوب الحج على التراخي : ومن طريقه أيضاً أي ابن عباس: « أن رسول الله ﷺ لم يحج

(١) ومنه قوله تعالى: ﴿ فإذا قضيت الصلاة، فانتشروا في الأرض ﴾ الآية (١٠) من سورة الجمعة.

الا بعد عشر حجج من هجرته، ولا أنكر على من تخلف عن الحج من أمته».

يقول الشيخ ـــ رحمه الله ـ في أثناء شرحه لهذا الحديث: هذا منه ـ رضي الله عنه استدلال على أن وجوب الحج على التراخي واستدلا له بوجهين، أحدهما فعله ـ ﷺ ـ في تأخير الحج الى السنة العاشرة والثاني تقريره وهو عدم انكاره على المؤخرين، والقول بالتراخي، هو مذهب الجمهور، منا وبه قال الأوزاعي، وأبو يوسف، ومحمد والشافعي، وقال قوم إنه على الفور، وبه قال بعض أصحابنا، وأبو حنيفة، ومالك ، وأحمد، وبعض أصحاب الشافعي، وأجابوا عن الاستدلال المتقدم، انه قد اختلف في الوقت الذي فرض فيه الحج، ومن جملة الأقوال أنه فرض في سنة عشر، فلا تأخير، ولو سلم أنه فرض قبل العاشرة فتراخيه ـ ﷺ ـ انما كان لكراهة الاختلاط في الحج بأهل الشرك، لأنهم كانوا يحجون ويطوفون بالبيت عراة، فلما طهر الله البيت الحرام منهم حج ـ ﷺ ـ فتراخيه لعذر، ومحل النزاع التراخي مع عدم العذر، وحجة القائلين بالفور حديث ابن عباس. أن النبي ـ ﷺ ـــ قال : «تعجلوا إلى الحج (يعني الفريضة) فإن أحدكم لايدري ما يعرض له» . رواه أحمد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن الفضل، أو أحدهما عن الآخر، قال: قال رسول الله ﷺ : «من أراد الحج فليعجل فإنه قد يمرض المريض، وتضل الراحلة، وتعرض الحاجة» رواه.

وعن الحسن قال: قال عمر بن الخطاب: «لقد هممت أن أبعث رجالاً الى هذه الأمصار، فينظرون كل من له جدة ولم يحج، فيضربوا عليهم الجزية ما هم بمسلمين .. ما هم بمسلمين» رواه سعيد في سننه، والله أعلم.

فأنتم ترون من خلال تعقيبه هذا، ترجيح القول بفورية الحج، ولو لم يقل به إلا ابن بركة، من أصحابنا، وهو القول الذي يؤيده الدليل، والله أعلم.

ومن شرحه للمسند أيضاً (الجزء ٣):

أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس، قال : اختلفت أنا وأبو سلمة بن عبد الرحمن، في المرأة الحامل، اذا وضعت بعد وفاة زوجها، بليال، قال: فقلت عدتها آخر الأجلين، فقال أبو سلمة إذا وضعت حلت فجاء أبو هريرة، فسئل فقال: أنا مع أبي سلمة، فبعثنا كريبا مولى ابن عباس، الى أم سلمة فسألها عن ذلك فقالت: ولدت سبيعة الأسلمية بعد وفاة زوجها بليال، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال «قد حلت» . قال الربيع، قال أبو عبيدة: وهذه رخصة من النبي ﷺ للأسلمية، وأما العمل ، فعلى ما قاله ابن عباس وهو المأخوذ به عندنا، وهو قول الله عز وجل في كتابه:

يشرح الشيخ ــ رحمه الله ــ هذا الحديث شرحاً طويلاً في خمس صفحات، يتعرض فيه لرواية البخاري ومسلم ، وأهل السنن، ولأقوال العلماء فيه، بما يدل على سعة اطلاعه، وتجرده في طلب الدليل المرجح، ويقول في أثناء الشرح: قال الربيع، قال أبو عبيدة: وهذه رخصة من النبي ــ ﷺ ـ للأسلمية، وأما العمل، فعلى ما قال ابن عباس، وهو المأخوذ به عندنا، وهو قول الله ــ عز وجل ـ في كتابه، وهو المنقول عن عليّ بن أبي طالب واختلف النقل في ذلك» عن ابن مسعود، وقال به محمد بن عبد الرحمن وابن أبي يعلى، ونقل عن سحنون أيضاً، قال ابن عبد البر: لولا حديث سبيعة لكان القول ما قال علي، وابن عباس، لأنهما عدتان مجتمعتان بصفتين، وقد اجتمعت في الحامل المتوفى عنها زوجها، فلا تخرج من عدتها الا بيقين، واليقين آخر الأجلين. قال المحشي، ولأن القاعدة أن الدليلين إذا كان كل واحد منهما عاماً من وجه؛ خاصاً من وجه، فانه يخصص عموم كل واحد منهما بخصوص الآخر عملاً بالدليلين معاً، قال: وهاهنا كذلك، فان قوله تعالى: ﴿ وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ﴾ ظاهرها العموم في كل حامل فيخص بقوله

تعالى: ﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً ﴾ . وهذه الآية ظاهرها العموم في كل متوفي عنها زوجها حاملاً كانت أو غير حامل، فيخص عمومها بقوله : ﴿ وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ﴾ . فلابد من وضع الحمل . وان زادت على أربعة أشهر وعشراً فقد عمل بالدليلين معاً، بخلافه على المذهب الآخر، فانه عمل فيه بعموم آية الطلاق فقط، واحتج لمذهب أبي سلمة بحديث الباب، فان دعوى الخصوصية محتاجة الى دليل، وأخرج أبو داود والنسائي ، وابن ماجة، وعبد الرزاق وابن أبي شيبة وغيرهم، عن أبي مسعود أنه بلغه أن علياً يقول: «تعتد آخر الأجلين» فقال: «من شاء لاعنته» ، إن الآية التي في سورة النساء القصوى، نزلت بعد سورة البقرة، بكذا وكذا شهراً، وأخرج عبد بن حميد عنه أنها نسخت ما في البقرة وأورد ابن مردويه عنه انها نسخت سورة النساء الصغرى في كل عدة ... إلخ.

وقول أبي عبيدة ــ رحمه الله ــ : «هذه رخصة من النبي ــ ﷺ ـ للأسلمية يدل عليه ما في رواية الأسود، عن أبي السنابل أن النبي ـ ﷺ ـ قال لها: فانكحي من شئت، ولو رغم أنف أبي السنابل، وذلك أنه، لما ولدت سبيعة بعد زوجها، خطبها رجلان، أحدهما شاب، والآخر كهل، وهو أبو السنابل، فمالت الى الشاب، فقال أبو السنابل: لم تحلي بعد، وكان أهلها غيباً ورجا إن جاء أهلها، أن يؤثروه بها، فجاءت رسول الله ﷺ فقال: «قد حللت فانكحي من شئت» هذا يدل أن الترخيص كان لها لأجل ارغام أبي السنابل ولايشكل عليك خطبته اياها، قبل تمام أبعد الأجلين، لأنهما تأولا معنى قوله تعالى: ﴿وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ﴾ . وقد تقدم القوم بعموم الحكم، وأنه غير مخصوص بسببية عند بعض الناس، أو أن القصة كانت قبل النهي عن الخطبة في

العدة، وقـوله: وهو قـول الله عز وجل في كتـابه ، يشير بذلك الى قـوله تعالى: ﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهـر وعشراً ﴾ وقـولـه عـز من قـائل: ﴿ وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ﴾ . فانه لابد مـن الجمع بين الآيتين، فان تقدمت الولادة قبل تمام الأربعة الأشهر والعشر. وجب الأخذ بـآية البقرة، وان تأخرت وجب الآخذ بآيـة الطلاق، ولايصح الغاء أحد الـدليلين، مع امكان الجمع بينهما، هذا وجه ما أشار اليه أبو عبيدة ـ رحمه الله تعالى ـ . والقائلون انها تحل بالوضـع، اعتمدوا على حديث الباب، وجعلوه مبيناً للحكم. اهـ.

فأنت ترى الشارح ـ رحمه الله ـ يحرر المسألة تحريراً، ويبين وجوه الاستدلال، ويضـع الأدلة بين يديك، ويترك اليـك الاختيار في ترجيح أحد الدليلين على الآخر، وربما يصرح برأيه الخاص في القضية التى ترجع الى الرأي، فيقول بعد عرض أقوال من سبقه والقول عندي: كذا وكذا. وذلك كقوله في « شمس الأصول »:

ووجـب القضا بأمر ثان إن فـات أو فـوته التـواني
وقيل بالأمر الذي تقدما والأول الصحيح عندي فافهما

ويقـول ـ رحمـه الله ـ في « طلعـة الشـمـس » في تعـديل الـرواة وتجريحهم في أثنـاء الشرح: «على أن أصحـابنـا ـ رحمهم الله ـ لم يشترطوا في تعديل الشهود وتجريحهم غير معدل واحد ، ومثله الراوي، لأنه أيسر حالاً منه، واشترطـوا في البراءة، عدلين على الصحيح، فقولي في النظم:

« لكنـه باثنين في الصحيح» ؛ مبني على مـا اختاره البـدر، تقليدا لـه مني، في حال النظم، وقد ظهر لك أن الراجح خلافه، والله أعلم.

وللشيخ ـ رحمه الله ـ نظرات صادقة في الفقه، وتجديدات منها إبطال

أذانين لصلاة واحدة الا صلاة الجمعة، ومنها إبطال الأوقاف الموقوفة ، لقراءة القرآن على القبور، وابطال القراءة في المقابر، ويستدل بفعل النبي ﷺ فيقول في الموضوع:

والمصطفى قد زارها وما قرا إلا سلاما ودعا وأدبرا

ويشير الى الأمور المبتدعة بقوله:

فبدلوا وياليتهم ما بدلوا ورسخت بقلب من لا يعقل

ومن «العقد الثمين»: من تجديده ـــ رحمه الله ـــ في أمر العقيدة، وتصفية الاعتقاد من شوائب الشرك:

س : وسئل ـ رحمه الله ـ عن المعظمين لأمكنة مخصوصة، عندهم ، كشجر، وعين ماء، ومسجد، وينذرون لها، ويقولون تضر، وتنفع، وتبلي وتشفع، ما حكمهم عند المسلمين اذا أصروا على ذلك؟ وهل يضر الزوجين سير أحدهما الى هذه المواضع، والتعظيم لها أو سار كلاهما ، وهل تحرم الذبيحة التي تذبح لها والطعام المصنوع لذلك؟

ج ـــ : فأجاب ـ رحمه الله ـــ : لانافع ولا ضار الا الله، فمن عظم شجرة ، أو عيناً أو قبراً، أو مسجداً، أو نحوها تعظيم النافع الضار، فهو عابد صنم، قد خرج عن الإسلام الى الكفر ، وحكمه حكم عبدة الأصنام إن لم يتب، وما أشركت الجاهلية إلا بمثل ذلك، كانوا يعظمون الحجارة، ومنهم من يعظم النار، كالمجوس، واعتقدوا ان ذلك نافع وضار، ومنهم من اعترف أن الأصنام لاتنفع ولا تضر، ولكن قالوا : ما نعبدهم إلا ليقربون الى الله زلفى، فهم يعبدون الأصنام، ويعتقدون أنها غير نافعة في ذاتها، إلا أنهم يرجون القربى بها الى الله، فلم ينفعهم ذلك، وحكم عليهم القرآن بحكم الشرك وكذلك حكم عليهم النبي ﷺ ومر رسول الله ﷺ على شجرة تذبح لها الجاهلية، وتعلق فيها جلود الذبائح، كما يفعل

بعض الجهلة اليوم، ويسمون تلك الشجرة «ذات أنواط» ، فلما رآها المسلمون، قال بعض ما لاعلم له منهم، يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فكبر ذلك على رسول الله ﷺ وأغلظ القول في انكاره وقال: «لتسلكن سنن من كان قبلكم حتى انهم لو دخلو جحر ضب لدخلتموه». يشير بذلك الى قصة بني اسرائيل حين مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم، فقالوا: (ياموسى اجعل لنا الهاً كما لهم آلهة، قال إنكم قوم تجهلون) الآية . وما ذبح على هذا الحال كالذي ذبح على النصب، وهو الذي أهل به لغير الله، وذلك فسق، والله أعلم. اهـ.

فهو حقاً من المجددين الذين أرجعوا الى الفقه جدته ونضارته، ونقوا عنه الزيادات التي ألصقت به في عصور طغى عليها الانحطاط والتقليد، ولاتخلو من أهل التجديد ولكن لايسمع لهم العوام المفتونون بأهل الجمود، الذين تقدمت الإشارة اليهم في كلام الشيخ ـ رحمه الله ـ.

ولاتزال أنوار مدرسته المشعة مشرقة على أفكار أهل العلم والتحصيل، فجزاه الله خيراً، ونفعنا بعلومه، وبارك في تلاميذه، وتلاميذ تلاميذه حتى يمددوا اشعاعه، ويتموا احياء ما شرع في بعثه، من الاستنباط والتفتح والتجديد، ولا يسعني في هذه الالتفاتة الصادقة الى هذا النجم المضيء إلا أن أدعو الله أن يبارك لنا في آثاره، ويكثر فينا معشر أهل الاستقامة من أمثاله، وإني أوصي الأبناء المتعلمين أن ينهجوا نهجه، ويكرعوا من منهله الصافي، ويقتدوا بأخلاقه، ويلتزموا بسيرته وسيرة من سبقه من العلماء العاملين.

والله ولي التوفيق، ومنه العون، والتسديد، وعليه الاتكال وبه الاعتصام، وإليه المصير، وهو مولانا، فنعم المولى ونعم النصير، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

فهرس المراجع

الكتـــــاب	المـؤلـف
تحفة الأعيان	الشيخ السالمي
جوهرة النظام	الشيخ السالمي
طلعة الشمس	الشيخ السالمي
أنوار العقول	الشيخ السالمي
مشارق الأنوار	الشيخ السالمي
كشف الحقيقة	الشيخ السالمي
شـــرح المسند	الشيخ السالمي
العقـــد الثمين	الشيخ السالمي
معارج الآمال	الشيخ السالمي

السالمي
« أديبـــاً ولغـــوياً »

إعداد / د. ابراهيم بن أحمد بن سليمان الكندي

حمداً لمن هدى بنوره من اتبع رضـوانه سبل السلام. وأنعم على من شاء من الأنام بـالبيان، فأنطقه ببليغ الكلام. وصـلاةً وسلاماً على خير من دعا الى رشاد، وأفصح من نطق بالضاد، سيد كل سيد ومسود ، من والد ومولـود، النبي الأواه محمد بن عبدالله، وعلى آلـه الاطهار وصحبه الأبرار وكل من آمن به واتبع النور الذي أنزل معه.

أمابعد ،

فإن تكـريم أساطين الفكـر وأعـلام الأمة ودعـاة الإصـلاح، بابـراز مـآثرهم ونتـاج قـرائحهم. ايقـاظاً للعـزائم، وبعثـاً للهمم. وأداء لبعض الـواجب يعتبر بحق مفخرة لكل من يسهم فيـه ولو بكلمـة. فكيف بمن يقوم به ويتبناه؟! والمنتدى الأدبي إذ يتبنى تلك المواقف المشرفة، ويجرد صوارم العزم. ويختط للمنتسبين اليه ذلك المنهج الواضـح المعالم، إظهارا لما يكنونه للجهـابذة الأعلام من تقدير واحترام جديـر بأن يبارك خطاه كل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. ذلك أن الناشئة يجب أن تضيىء دربها الى التقدم بنتاج قرائح الموهوبين الذين أنار الله بصائرهم وصفى سرائرهم ونقى ضمائرهم وفجـر ينـابيع الحكمـة من قلـوبهم ﴿يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾[1]

فكل من يريـد أن يضـع لبنة في بناء مجتمع فـاضل لابد أن يستضيء بمشعل من أعمال السلف الصالح حتى يكون خير خلف لخير سلف.

---

(١) آل عمران

وقد وجه اليّ هذا الصرح الشامخ «المنتـدى الأدبي» ضمن فعالياته في هذا المجال دعوة للمشاركة ببحث بعنوان «عبدالله بن حميد السالمي أديباً ولغوياً». والله يعلم اني لست من فرسـان ذلك الميدان ولا من أرباب هذا الشأن حتى إني لا أصلح أن أنـزل طفيليـاً على مـوائد الأدب واللغـة في قـرى الأدباء واللغـويين. ومع ذلك كلـه فلسوء حظي حـالت بيني وبين اعداد البحث ظروف لا أرى الافصاح عنها في هذا المقام مناسبة. غير اني من خلال اطلالتي من نافـذة الاطلاع وقفت على فيض من غيض وقطرة من بحر في ثنايا مـؤلفات ذلك العلم الذي رسخت في كل حقل من حقول المعرفة. بل في كل بحر من بحور العلم لـه قدم راسخة، وبسقت له فيها ظلال وارفـة، وشمت ومضة تنـم عن شخصية فـذة في الأدب بمدلـوله الواسع. وقاموس لغوي تتلاطـم أمواجه فيقذف بنفيس الجواهر لمن دنا منه، ويبعث بمواطر السحب لمن نأى عنه.

فعندهـا خاطبت نفسي وأنا موقن بصـدق ما أقول عنـدما اقتربت من ذلك البحر الذي لا ساحل لـه ... إذا كان هذا العباب يتهيب الإقتراب منه المقتـدرون، أليس من السخـريـة أن يخوض غماره أمثـالي ممن خمدت فطنته ووهى عزمه، وطبق النوم أجفانه؟!!

ولولا ذمام لربوع عامـرة بالمودة يتحتم قضاؤها، ونعمة من الواجب شكـرها لما صـدرت عن لسـاني في الموضوع بنـت شفة، ولكني أتقـدم بوريقات يغلفهـا الحياء لما أودع فيها من بضاعة مزجـاة وشذرات قليلة على أكثر تقديـر ان صح عنها ذلك التعبير. أما البحث فأسأل الله أن يمن عليّ بإعداده عندمـا تكون الفرصة سانحة بمشيئـة الله وامداده فهو وليّ ذلك والقادر عليه.

« نور الدين السالمي والأدب »

إن من يطرق سمعه ذكر مؤلفات هذا العلم المحقق نور الدين السالمي ــ رحمه الله وطيب ثراه ــ يظن لأول وهلة أنه أصولي وفقيه محدث فحسب، ولكنه بمجرد ما يقلب بعض صفحات أي مؤلف من مؤلفاته ولو كان صغير الحجم يجد الخير المتدفق والنور المتألق فيحس أن القريحة التي جاءت بذلك الأسلوب الرفيع تنبىء بصدق ويقين عن موهبة أدبية لا تبارى ، وفارس في مضمار الأدب لا يجارى.

واذا كان الأديب هو المصور للأخيلة الدقيقة والمبرز للمعاني الرفيعة الرقيقة، والمحلق في آفاق النفس الإنسانية بما يبدعه من صادق القول والمتغلغل في أعماق النفس الإنسانية بابرازه المعقول في قالب المحسوس. فان فيما فاض به خاطره ـ رحمه الله ــ وجادت به قريحته أسطع برهان على أنه الأديب الألمعي.

الألمعي الذي يظن بك الظـــ ــن كـــأن قد رأى وقد سمعا

وأنت قد يداخلك العجب أو يستفزك الطرب حينما تقرأ أسلوباً رفيعاً أو نظماً بديعاً لأديب بارع أو شاعر أديب في مجال له صلة وثيقة بالأدب، أو مضمار شعر في في رغب أو رهب. ولكن هل تملك نفسك وتستطيع تقييد حركة مشاعرك حينما تلمس رفعة الأسلوب ورقة الشعور، وسعة الخيال، وانسياب التعبير انسياب الماء الزلال نحو الكبد الحراء في انشاء خطبة لكتاب، أو ابداع مقدمة لمؤلف، أو تسمع له شعراً استنهاضيا حماسيا يحرك الوجدان ويلهب المشاعر، أو تعبيراً عن مسألة فقهية، أو عرض قاعدة أصولية أو اثبات لقول في مسألة اختلفت فيها الآراء أو استدلال على قول أو حشد أدلة على رجحانها.

أولاً ـ «الأسلوب النثري عند نور الدين»

أ ـ التعبيـر:

لا أدل على صحة الشيء من وقـوعه وحصولـه في الخارج، فاذا شئت أن تتبين مـا يمتـاز بـه أسلـوب هـذا العلم التعبيري من دقـة في التعبير وتناسق في الجمل والمفردات، وشمولية ووضـوح وروعة تأخذ بمجامع قلبك فاقرأ معي هذا النص:

« نحمدك اللهم يا من أطلع شمس الأصـول في سماء قلوب العارفين، وأظهـر بها حقائق الأدلـة لإفهام النـاظـرين. وأبرز بها أسرار الأحكـام الشرعيـة لفحـول العلماء المجتهـدين حتـى أفضى بهم الحال من ضيق التقليد الى فضاء اليقين»[1]

وهذا النص الآخر: «سبحانك يا من تفـرد بالتنزيه، وتعالى عن النظير والشبيه، واتصف بالكمال الذاتي. فلا مكـان يحويه ولا زمان يوجد فيه وجب له الوجود والقدم واستحـال عليه الفناء والعدم. قضى على جميع ما سواه بالحدوث وحكم. ننزهك تنزيه من عرف حق الربوبية واعترف بالعجز والعبودية»[2]

أليس يبهـرك مـا في هـذين النصين من روعـة الجمال وبـراعـة الاستهلال؟!

«وهي أن يجعل المتكلم في أول كلامـه اشارة الى مقصـوده وأحسنها مايكون على وجه التورية»[3]

فالنص الأول مطلـع لشرح شمس الأصول «طلعة الشمـس» والكتاب مـؤلف في أصول الفقـه الـذي يبحث عن حيثية اثبـات الأدلـة للأحكـام وثبوت الأحكام من الأدلة الشرعية وما يتصل بذلك من كيفية الاستنباط وصفات المستنبط.

---

(١) شرح طلعة الشمس / نور الدين / ج١ ص٢
(٢) روض البيان على فيض المنان في الرد على من ادعى قدم القرآن / نور الدين / مخطوطة ص١
(٣) بهجة أنوار العقول / نور الدين ج١ ص٥

وأما النص الثاني فانه مطلع شرح مسمى «بروض البيان على فيض المنان على من ادعى قدم القرآن» للعلامة سعيد بن حمد الراشدي. وموضوع الكتاب: إثبات أن القرآن مخلوق إذ ليس في الوجود الا موجد وموجود خالق ومخلوق، فالخالق هو الله المتصف بالقدم وحده وما سواه فمخلوق محدث.

وخذ هذه الكلمات التي تفيض بالنور حيث يرشد المسلمين الى حتمية أن يكون منهم دعاة الى جمع الكلمة مؤيداً أحقية ذلك بالنتائج المتوقعة السريعة: «والساعي في الجمع مصلح لا محالة وأقرب الطرق له أن يدعو الناس الى ترك الألقاب المذهبية ويحضهم على التسمي بالإسلام. فان الدين عند الله الإسلام واذا أجاب الناس الى هذه الخصلة العظيمة ذهبت عنهم العصبية المذهبية ولو بعد حين. فيبقى المرء يلتمس الحق لنفسه ويكون الحق أولاً عند آحاد من الرجال ثم يفشو شيئاً فشيئاً حتى يرجع الى الفطرة. وهي دعاية الإسلام التي بعث بها محمد عليه الصلاة والسلام. وتضمحل البدع شيئاً فشيئاً فيصير الناس اخواناًومن ضل فانما يضل على نفسه»[1]

فهل ترى أبين من هذا الأسلوب المتناسق الجمل ، الخالي من الحشو، الموصل الى المطلوب. ويستمر في أسلوبه الرفيع معرباً عن أمنيته في تحقق الوحدة والمكان الذي يجب أن يبزغ منه فجرها لا أن يغشاه حالك من ظلمة التفريق. قائلاً: «وأوفق البلاد لهذه الدعوة مهبط الوحي ومتردد الملائكة ومقصد الخاص والعام وحرم الله الآمن. لأنه مرجع الكل. وليس لنا مذهب الا الإسلام فمن ثم تجدنا نقبل الحق ممن جاء به وإن كان بغيضاً، ونرد الباطل على من جاء به وان كان حبيباً. ونعرف الرجال بالحق. فالكبير معنا من وافقه والصغير من خالفه»[2]

ولنستمع اليه وهو يبرر أفضلية علم أصول الفقه وأشرفيته على كثير

(١) جوابات نور الدين «مخطوطة» ـ الجزء الرابع ص ١٧٥
(٢) المرجع السابق ص ١٧٦

من العلوم بعد أن ذكر الغاية التي يصل اليها دارسه والساعي الى تحصيله: «وهذا المقام مقام ليس بعده غاية لطالب الهداية وبما ذكرته هاهنا من فائدة أصول الفقه يظهر لك أشرفيته على غيره وأفضليته على ما عداه. أما الكلام فإنه وإن كان أفضل العلوم بلاخلاف، لأنه انما يبحث عن صفات الله تعالى. وشرف العلم انما هو بشرف الموضوع فأفضليته على سائر الفنون انما هي أفضلية باعتبار ما ذكر. وهذا أفضليته باعتبارات كثيرة وكثير من العلوم كعلم العربية والنحو والصرف إنما هي طرق الى معرفة هذا الفن . فنسبته اليها بهذا الاعتبار إنما هي كنسبة الثمرة الى الشجرة لأنها انما تطلب لأجله كما ان الشجرة انما تغرس لأجل ثمرتها ولربما لم يحصل منها المطلوب فتجذ من أصلها»[1]

ألا ترى قوة هذا الأسلوب وترابط كلماته بحيث لو حذفت كلمة من تلك الفقرة لاختل المعنى. ولولا خشية الإطالة لأوردت نصوصاً من هذا الكتاب يسحر جمالها عقول البلغاء. ومع ذلك فهو يعرض حقائق علمية ونظريات وآراء مقرونة بحججها، والاعتراضات عليها، والاجابات عن تلك الاعتراضات بأسلوب جذاب .. وإني أنصح من أراد المزيد من المعرفة بقراءة هذا الكتاب لتتضح له الدرجة التي وصل اليها هذا المحقق المدقق ومكانته بين الفصحاء والبلغاء.

ب ـ الخطابة:

أما أسلوب الخطابة عنده فحدث عن جودته ولاحرج خصوصاً إذا كان موضوع الخطبة «الحث على الجهاد واتباع سبيل الرشاد» وهذه شذرة من شذرات خطبه ألقاها في ملأ من الناس:

« ألا وإن الله قد من عليكم بالإجتماع بعد التشتت، وبالألفة بعد التفرق، ففتح بصائركم بنور الهدى، وبصركم من العمى، وأيقظ هممكم

[1] شرح طلعة الشمس ج ١ ص ٢٤ ، ٢٥.

الى طلب العلا، وبعث عزائمكم بعد طول الثوى، فمن عليكم بهذه النعمة العظيمة. والمنن الجسيمة، وأنقذكم من الضلالة، وأخرجكم من الجهالة، فجمع على هذا الخير آراءكم، فاشكروا نعم الله عليكم، فان الشكر قيد النعم، وأوفوا بعهد الله يوف بعهدكم، وانصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم»[1]

ثم جعل مسك الختام لهذه الخطبة دعوات توجه بها الى الله جملاً تفيض بالروحانية وتشع بالنور. فما أولاها بالقبول وأحراها بالاجابة. وهذه نبذة يسيرة منها: « أعز الله كلمتكم، وقوى دعوتكم، ورد اليكم نعمتكم، وأفلج حجتكم، وأكثر أموالكم، وكثر على الحق رجالكم، وصدق مقالكم، وشكر أعمالكم، ورضى آمالكم، ورتق بكم الفتوق، وأعطى بكم الحقوق، وأحياكم على سنن الصادق الصدوق، وأخمد أهل الفتن والمروق، وكان الله معكم وجعلكم معه، وكان لكم، وجعلكم له، ودفع بكم الأسوا، وداوى بكم الأدوى، وأوضح بكم سبل الهدى، وأدام الله ستركم وأعز نصركم، وقوى قلوبكم، وطهر عيوبكم، وكمل بكم الإسلام، وأوصل بكم الأرحام، وجلا بكم الظلام، شد الله أزركم، ووضع وزركم، أنار الله بكم الشرع، وأطفأ بكم البدع، سكن الله بكم الروعات، وأذهب بكم الفزعات، حقن بكم الدماء، وجلا بكم من العمى، لاأراكم الله سوء، ولا شمت بكم عدواً، حمد الله أمركم، ومد أثركم ورفع قدركم، وقوى صبركم، وشكر شكركم، وأعاذكم جور المسالك، ومحل المهالك، وأدخلنا وإياكم دار الإسلام مع الحور في تلك الخيام، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. وحسن أولئك رفيقاً»[2]

ج ـ القصـــــة:

وأما أسلوبه القصصي فلم يعتمد فيه على نسج الخيال، والحلل الفضفاضة التي كثيراً ما يلبسها المؤرخون وما يسوقونه من قصص

(١) العقد الثمين للشيخ السالمي ج ٤ ص ٢٦٣
(٢) المرجع السابق ص ٣٦٣، ص٣٦٤

ترويجاً وتنميقاً لها، لتكون مؤثرة مقبولة تتناسب مع الأخيلة والأمزجة، أو تلهب المشاعر، أو تؤجج العواطف. بل هـو شديد الحرص على الأمانة في النقل. والدقة في المأخذ.

وسيرته «تحفة الأعيـان في سيرة أهل عمان» أسطع برهان على النهج الذي اختطـه لنفسه في نقل الـوقائع وسرد الأخبـار بعبارات خـالية من التكلف وافية بالمراد ، محققة للهدف، بعيدة عن التعسف.

ومع ذلك فتعبيره عن الـوقـائع التـاريخيـة في الـذروة من الجودة والسهولـة وعذوبة الألفاظ وانسيـاق المعاني. مطابقـة لمقتضى الأحوال والمقامات.

وللجانب الحماسي لـديه حظوة فيما يتصل بالجهـاد والمعارك الدائرة بين أهل الهداية وذوي الغـواية كما يظهر ذلك جلياً لمن تتبع مـا كتبه في المعارك والوقائع الحربية.

ومما يمتاز بـه أسلوبه في السيرة المشار اليها عـدم التحيز لفريق على آخر كما انه لايلجأ الى التنقص أو التهكم، حتى ولو كـان من يريد ابراز حالـه مستوجباً لـه. فلا تلجئه العـاطفة، ولايحمله الشنـآن على مجانبة العدل. فهو يضـع كل شيء في نصـابه. فأهم شيء لديه إيصـال المعلومات الى القارىء بأمانة وصحـة نقل. وقل ما يتبع ما ينقله أو يسرده بتحليل أو تعليق إلا اذا لم يجد بـداً من ذلك بيـاناً لمشكل، أو كشفـا لمعضل، أو استنباطا لمسألة فقهية تتصل بواقع الحياة.

ولا يتسع المقام لايراد أمثلة من كتـاباته في السيرة على ما ذكرت. بل أحيل القارىء على ذلك المعين لينهل منه متى أراد.

ثانيـاً ـ ملكته الشـــعرية

إذا كان الشعـر هو الكـلام الموزون المقفى المعبر عن الأخيلة البـديعة والصور المؤثـرة البليغة، الـوثيق الصلة بـالشعور النـاجم عن شفـافية الإحساس وصفاء الضمير، فإن لنور الدين السالمي ملكة راسخة وقدرة فـائقـة على السباحـة في بحـور الشعـر، والتقاط النفـائس من مكنـون جواهـرها فمـع كونه لم يحفـل به ولم يصرف نحـوه همه وهمته. ولم يمسك بعنانه فإن له قصائد تعتبر من روائع الشعر في موضوعاتها.

والمتأمل في غور قصائده بامعان يجدهـا منساقة الى النفس في عذوبة ألفاظ، وجزالة معان انسياق العبير الى الأنوف والعذب الزلال الى القلوب الصـادئة. ان نتاجـه في هـذا المجـال من عفو البـديهة، وفيض الخاطـر. والأغراض الشعـرية التي طرقهـا في شعره هي الأغـراض الشريفة التي تتناسب مع نهضتـه بمجتمعه، وما ينشـده من استقامة، وما ينـادي به من جمع الكلمة على الحق، والانضواء تحت لـواء الهدى، فمن شعره إن لم أقل كله شعر حماسي يشف عن مضاء عزيمة، وشدة شكيمة، وصدق طوية، وسلامة قصد.

لنأخذ مثالاً على ذلك رائيته الغراء التي استهلها بقوله:

مقـام في القصـــور على قصـور　　مقـــام مثـل ربـــات الخدور
فنصبح مثلهـا ونـروح أيضـاً　　على فـــرح بـأنـــواع السرور

وهذه الرائية العذبة الألفـاظ، المنتناسبة المفردات والجمل. يظللها جو من التبرم بـالأخـلاقيات التـي لها وجود في مجتمعـه، ولـو لم تكن على نطاق واسع، ولكن الهدف الرئيسي من انشائها استنهاض همة الأمة عن طريق توجيه اللوم اليهم ايقاظاً لعزائمهم.

لقـــد ألهتكم اللـــذات حتى　　تشبهتم بـــربـــات الخدور
لقـد أسرتكم الشهـوات حتى　　غـدوتم مثل سكـان القبـور

وإذا كان فطاحلة الشعراء وفرسان الأدب يتبارون في نظم القلائد من الجمال غزلاً ونسيباً ووصفاً وتشبيهاً. فان هذا الوحيد في عصره قد أناخت به همته العالية في ساحة ذوي السيادة السامية حيث الهمّ والهمة فى ارساء دعائم العدل، واحياء ما انطمس من معالم الهدى. ولنستمع الى أبيات من فرائد قلائده إذ يقول:

لشغلي بأهل الدهر إحدى العجائب ... وتركي طلاب العدل إحدى المصائب
فصوبت فكري أي حال يكون لي ... منـاراً بـه أسمـو لأعلى المراتب
وأي مقام فيه أغدو مجانباً ... لأهل الهوى والغي من كل لاعب
وأي خصال إن تحلى بها الفتي ... تميز فيها عن ذوات الجلابب
وأي طريق أقتفي في سلوكه ... سبيل رسول الله زين المناقب

ـ **تعليق** ـ انها والله اللهجة الصادقة، والعزيمة التي لاتعرف الكلل، والأفعال مصداق للأقوال. فما كان ليقول ما لايفعل.

وإذا كان الشعراء ينفقون الثمين من أوقاتهم في تحبير القوافي، وتنميق المدائح لتكون لهم مفاتيح لخزائن الملوك وذوي الرفادة. واذا كان التواحي فيما بينهم بأن يكون الأديب بمنأى عن ميادين الإقدام والترغيب في الإخلاد الى الراحة، وايثار السلامة في بحبوحة الهون. فان هذا العلم قد سلك في شعره المنهاج الذي يوصل سالكيه الى ذرى العز والشرف انطلاقاً من أن المقدر كائن لامحالة. رضي الشخص أم أبى..

والبرهان على ذلك قوله:

هون عليك فان الرزق مقسوم ... والعمر في اللوح محدود ومعلوم
فلا يزيد على ما خط منه كما ... لايدفع الجبن ما في الغيب محتوم
فبذلك الجهد في سعي تروم به ... زيادة الرزق جهل منك مذموم
وصونك النفس عن موت تصادفه ... وقد تأجل حمق فيك مرسوم
فهل تعجل عن ميقات موعده ... لقادم في الوغى والحرب مضروم

أم هل تأخـــر عنـــه لحظـــة لأخي ... جبن تخدر عنـــه وهـــو مهضـــوم
كـــــلا وربك لايجدي الفـــــرار كما ... لاينقص العمـــر اقـــدام وتصميم
ففي الشجـاعـة نيل المجـد قـاطبـة ... وفي الجبـــانـــة كل الـــذم محتـــوم
وفي الشجـاعـــة حصن لا انهدام لـه ... وفي الجبـــانـــة القـــاء وتسليم

ـ **تعليق** ـ وهذه الميمية نسجها على هذا المنوال وهي كما تسمع تدخل ألفاظها ومعانيها الى القلوب عبر الآذان دون حاجة الى استئذان.

مسلكه في الرثـــــاء

قلما تجد أديباً لاتجيش شاعريته بمرثية. حسرة على مفارق، من إلف موافق، أو حبيـب وامق، أو على مفضـال بفيض العطـاء دافق، أو قمة في الفضـائل والخلائق، غير أن البواعث على الـرثاء هي التي تحدد مـلامح الشاعر وأهدافه ومراميه. كما تبرهن على صدقه حيال ما يعدد من مآثر من يصوغ الرثاء فيه.

ونور الـدين ـ رحمه الله ـ تفوق مراثيـه التي جاشت بها قـريحته مـراثي كثير من قـدامى الشعـراء ومحدثيهم، بالنظـر الى نبل الغـرض وسمو الهدف اضافة الى قوة المباني وجزالة المعاني، فلا تجده في الرثاء .. يمزق جلباب الحياء. كما انـه يترفع أن ينوح نواح الثكلى ولكنه ينطلق من واقع حياة من يرثيه معرجاً على الخلائق المتأصلة فيه متخذاً له ولمن يشنف سمعه بفرائد قلائده، قدوة وعظة وعبرة ممن يحبر سيرته.

ولا أدلّ على ما أقول من مرثيتين فـريدتين في نوعهما: رثى بأولاهما الشيخ الصالح صالح بن علي بن ناصر الحارثي ومطلعها:

قضـــت أحســابنا أن لاتدينـا ... لحـكم الحـادثات وإن رزينا

وهي نونية تقع في اثنين وثلاثين بيتاً.

ورثى بـالثانيـة شيخـه المشار اليـه وبمعيتـه ابنه الهمام عبـدالله بن صـالح، وأحـد مشـائخ نور الـدين العـلامـة حمد ين سيف بن سعيـد

البوسعيدي، والشيخ سعيد بن حمد الراشدي، ووالده حميد بن سلوم السالمي. وهي عينية رائعة عدد أبياتها ستون بيتاً.

ومن أراد الوقوف عن كثب عن ذلك السيب المدرار فإني أحيله عليهما ليقرأهما قراءة منصف متأمل. ولابأس أن نلتقط من نفيس تلك الدرر ما تشنف به الآذان.

فمن أبيات النونية قوله في المطلع:

وعزم صادق يأبى علينا ... لغير المكرمات وان بلينا

وقوله:

فلا يحسب فتى انا انثنينا ... عن العليا لما فيها لقينا

واستمع اليه وهو يصف من يرثيه:

همام ليس يرضى غير صيد الكمـ ... ـاة الصيد بين الصائدينا
لـه همم تدوس النجم تيهاً ... وعزم يبهر المتأملينا

واليك من العينية التي بلغت أبياتها ستين بيتاً قطوفاً من يانع جناها:

أصبر على مضض المصارع ... فالدهر للأعمار قاطع
هوّن فإن العمر في الإنسـ ... ـان من بعض الودائع
كُفَّ المدامع أن تسيل فما ... عسى نفع المدامع
واعلم بأن الدهر لا ... يصفو لحال منك جازع

ـ تعليق : ـ ما أصدق هذا المطلع الذي يلوح من خلاله بارق براعة الاستهلال بشراً بين يدي غيث متتابع ينبت الصبر فيثمر الظفر وينعش الهمم ويوقظ العزائم ولا يتسع المقام لإيراد كل مراثيه وسرد المنتخب منها فكلها في واقع الأمر لآلىء ودرر تبهر الناظر بعين الإنصاف.

ولنعد مرة أخرى الى الأغراض المتعددة في شعره بعد أن أخذنا جولة سريعة حول المراثي:

ولم ينس ـ رحمه الله تعالى ـ أن يعزي خلف شيخه الصالح صالح بن علي الحارثي ولده عيسى مستنهضاً إياه ليسير على نهج أبيه . ومما قاله في ذلك هائية في اثني عشر بيتاً. استمع الى مطلعها:

خل البكاء وإن رزيت بمثله وانهض سريعاً في طريقة عدله

كما أنشأ هائية بدا فيها واضحاً لزوم ما لايلزم في ثمانية وعشرين بيتاً وفي مطلعها يقول:

هو المجد فاطلبه وان عز طالبه وجد وان ضاقت عليك مذاهبه

وحيث كان مولعاً بالتحريض على الجهاد نصرة لدين الله ، واظهاراً لما انطمس من معالم الشريعة فاننا نجد في شعره إناءً صافياً ينضح بالعذب الزلال الذي يحيي القلوب الميتة، ويبرد الأكباد الحراء. وما أحسن حائيته التي يقول فيها:

إن جاء نصر الله والفتح وبطل التدليس والشطح

والحائية تقع في خمسة وعشرين بيتاً. وهي في الواقع قلادة يزهو بها جبين الدهر. وهو حينما تتألب عليه المصيبات وتنيخ بفنائه رازم الرزايا، لا تفت في عضده ولا توهى كاهله بل تزيده صلابة في العزم وقوة في الشكيمة تشهد لذلك تائيته الرائعة التي استهلها بقوله:

أبت الا المروات الأبية نفوس لاتقر على دنيّه
علت شرفاً وفلت كل خطب بأحساب وهمات عليّه
وقابلت المصائب باحتساب مخفف صبرها ثقل الرزيّه
مصائب بعضها في أثر بعض فلولا الصبر لم تبق عليّه
ولكن صانعت مني محيا تلوح به البشاشات البهيه

وهذه القصيدة من غرر قصائده وتقع في أربعة وعشرين بيتاً واذا كان كثير من الأدباء والحكماء يتبارون في صوغ المقصورات تعبيراً عن مشاعرهم أو ابرازاً لمآثرهم ومفاخرهم. أو مآثر ومفاخر من يجلونهم

ويكيلون الثناء لهم.. فان نور الدين لم يفته أن يجاريهم بمقصورة. غير أن مقصورته جاءت معبرة عما يختلج في مشاعره ويلهج به لسانه على نحو المنهاج الذي اختطه لنفسه ودعا اليه حيث يقول في مطلعها:

خل عن ذكرى حبيب واللوى ... واطلب المجد بما الكف حوى
وابذل المجهود في نيل العلى ... والفتى وإن لم ينلها في هوا

والمقصورة تقع في خمسة وعشرين بيتاً، وكلها على هذا المنوال، ثم اتبعها بمقصورة أخرى من خمسة وعشرين بيتاً. ومن أبياتها:

أشجع الناس من الحرب اشتهى ... وإذا وافت قرناً ما سهى

ولو تتبعنا أسلوبه في الأدب عامة نثراً ونظماً لوجدناه من أرقى الأساليب وأدقها وأبينها. وقد استرعى انتباهي وأنا أتنزه في رياض شعره هذا التشبيه الذي لم أجده لغيره. الذي ضمنه أبياتاً توقظ المشاعر الخامدة فتهبها الحياة من قصيدة بائية يقول فيها:

ما قام عز في البرية ... والرعاع له سبب
كالطود ليس يطيقه ... بيت بسقف من خشب
فابن العلا بجبال عز ... لايزعزها الرهب
وارم العدا بسهام من ... ترمى به حالاً تصب
بأماجد شم لهم ... في الناس سابقة الحسب

تأمل معي هذه الإستعارات مع ذلك التشبية: حيث شبه العز الذي هو رمز الدولة بطود عظيم شامخ لايمكن أن يستقر الا على أرض صلبة فلا يحمله بيت سقوفه من خشب مهما بلغت من الصلابة والضخامة. وما أروع استعارة الجبال المضافة الى العز للرجال الأماجد ذوي الحسب الرفيع.

« مختـــاراته الشعرية »

ليس الشعر الـذي تناولنا قطوفـاً منه هو وحده المرآة الصـافية التي تعكس لنا رسوخ قدم نـور الدين ـ رحمه الله ـ في الأدب، بل لهذا العلم جوانب أخرى نستطيع من خـلالها أن نتبين تمكنه في الأدب وسموه الى ذراه، وتبوأه فيه المكانة المرموقة بين سائر أقراته. منها علي سبيل المثال لا الحصر مـا وقفت عليـه من خـلال قـراءتي لمجموعـة منـاظيمـه من مختاراته الشعـرية لغيره. فقد أدرج كاتبها قصـائد من عيون الشعر في تلك المجموعـة. ولما سألت حفيده الشيخ سليمان عن سبب ذلك أكد لي نقلاً عن والـده أن الشيخ نور الـدين ـ رحمه الله ـ كـان كثيراً ما يحب الاستماع الى تلك القصائد المختارة لديه. وكان يحث على حفظها.

ومن بينها: المرثيـة الرائعة التي رثى بها أبا الحصين الإمـام عبد الله ابن يحيى طالب الحق وقرنـاءه واخوانه من رجال الـدعوة كمرداس بن حدير وأبي حمزة الشاري ومطلع هذه المرثية:

هبـــت قبـــيل تبـــلج الفجـــر ... هنـــد تقـــول ودمعهـــا يجري
ان أبصرت عيني مـــــدامعهـــا ... ينهل وأكفهـــــا على النحـــــر
انى اعتراك وكنـت عهـــــدي لا ... سرب الـدمـــوع وكنت ذا صبر
أقـذى بعينك مـــا يفـــارقهـــا ... أم عـــائر أم مـــا لها تـــدري
أم ذكـر اخـوان فجـــعت بهـــم ... ســلكوا ســبيلهم على خبـــر[1]

إن اختياره لهذه الرائية واستحسانه لها يوضحان مدى ذوقه الرفيع واحساسه المرهف وهي جديرة بأن يهتم بها الأديب والداعية.

ومن مختاراته ـــ رحمه الله ـ قصيدة عمرو بن العـاص اللامية التي يخاطب بها معاوية مذكراً له بما له من فضل عليه:

معـاويـة الفضـــل لاتنســـى لي ... وعن منهـــج الحـــق لاتعـــدلي
نســـيت احتيـــالي في جـــلق ... على أهلهـا يـوم لبـس الحلـي

(١) أنظر القصيدة بطولها في الأغاني. لأبي الفرج الأصفهاني.

ومن تلك المختارات أيضاً رائية ابن الجهم التي منها:

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري
أزلن رسيس القلب عن مستقره وألهبن ما بين الجوانح والصدر[1]

ومما كان يستحسنه من شعر سليمان بن سليمان النبهاني رائيته التي أبدع فيها والتي استهلها بقوله:

اللدار من أكناف قو فعرعر فخبت النقا بطن الصفا فالمشقر
كأن سطوراً معجمات رُسومها اذا لحن أو هلهال برد محبر[2]

وقد قال الشيخ ـ رحمه الله ـ عن هذه الرائية المليئة بالألفاظ الجزلة والمطرزة بالمعاني الرائعة الرفيعة انها تضاهي المعلقات:

ولنعد بالذاكرة الى ما كان يتمتع به نور الدين ـــ رحمه الله ـ من موهبة في النظم لا تبارى وماله فيه من باع طويل يعجز عنه الفحول من الشعراء.

فأقوى برهان وأدله على ما أقول كتابه «جوهر النظام» الذي حبك فيه نظمه البديع الرائع مع أرجوزة الصائغي بحيث لايستطيع التفرقة بين أبيات الأصل وأبيات الجوهر إلا من قرأ الأرجوزة وحدها مرة بعد أخرى.

ومن أبدع ما نظمه نور الدين كتابه «مدارج الكمال» ، الذي ضمنه مختصر الخصال للإمام ابراهيم بن قيس الحضرمي ـ رحمه الله ـ الذي بلغت أبياته ألفي بيت في أروع أسلوب وأرفعه. ولا داعي لايراد شواهد

يا ابن الكرام ألا تدنو فتبصر ما قد حدثوك فما رأى كمن سمعا

وأكرم بأرجوزة أنوار العقول التي أبرز فيها معالم علم التوحيد مبتدئا اياها بقوله:

---

(١) انظر القصيدة بطولها في الأغاني. أبي فرج الاصفهاني. ج
(٢) ديوان سليمان بن سليمان النيهاني.

الحمد لله الذي قد أشرقا ... شمس الأصول في نهى ذوي التقى

ومختتماً لها بقوله:

تمت بحمد الله أنوار العقول ... حاوية أهم شيء من الأصول
عارية من وصمة الإخلال ... سالكة طريقة الكمال
أهديتها صرفاً لكل طالب ... تصونه من كل قول كاذب

كما قرضها بهذه الأبيات:

هذه الأنوار لا نجم زهر ... لا ولا اشراق شمس أو قمر
فلها ألباب أرباب العلى ... مطلع زانت به تلك الفكر
قربت في فنها ما قد نأى ... وحوت كل مهم معتبر
ليت أشياخي الألى قد سلفوا ... شهدوا وضع مبانيها الغرر
ورأوا تنقيحها في جمعها ... وانتحالي لمعانيها الدرر
فلهم فيها مجال واسع ... ولها عندهم أعلى قدر

ما أروع هذه الأبيات التي تسيل رقة وعذوبة ولا بدع فان شاعريته مرآة تعكس تمكنه في الأدب وبلوغ الذروة فيه.

وأعجب من أنوار العقول التي أبرزت معالم علم التوحيد منظومته شمس الأصول وهي ألفية زخرت بقواعد علم الأصول في أسمى معانيها وأعلى مبانيها في منهجية متميزة بعرض تلك القواعد على الأصول عرضاً أدبياً يحبب علم الأصول الى النفس مع كونه صعب المنال ولكن قلائد الياقوت والمرجان التي أشرق بها جيد هذا الفن جعلته غاية من اليسر والسهولة ولست بصدد دراسة وافية لأسلوبه الأدبي الفائق الرفيع في نثره ونظمه فهذه الوقفات ما هي الا اشارات عابرة وهي بضاعة مزجاة.

إذا كان المتمكن في اللغة الغواص في بحارها والملتقط لنفيس دررها في مكامنها والمبرز في اختيار مفرداتها وجملها في مختلف فنونها وشتى طرقها هو الذي يطلق عليه اسم اللغوي ويوصف بأنه إمام في هذه اللغة حتى ولو لم يؤلف معجماً خاصاً به فان الشيخ نور الدين ـ رحمه الله ـ أولى من يقال عنه انه إمام في اللغة، فأسلوبه التعبيري في كلامه المنثور في مؤلفاته العديدة يدلك على رسوخ قدمه في لغة العرب، فلا تجد في فقرة من فقرات مؤلفاته كلاماً حوشياً ولا غريباً ولا متنافراً، فكلما قرأت فصلاً من كتاب شدك ذلك الفصل إلى أن تكمل قراءة الباب وكلما أكملت باباً توقدت فيك الهمة إلى أن تتنزه في رياض الكتاب وما ذلك الا للبلاغة الباهرة والفصاحة الظاهرة والتراكيب اللغوية السالمة من العيوب ولايتسع المقام لدراسة مفصلة وايراد مقاطع من كلامه في مؤلفاته الا نزرا يسيراً ولكي أحث القارىء أن يفتح بصره وبصيرته على مؤلفين لها صلة بالموضوع الأول كتاب «**شرح بلوغ الأمل في المفردات والجمل**» وهو في أربعة أبواب.

وهأنذا أورد مقتطفات من مقدمة الكتاب مصداقاً لما أشرت اليه من موهبته الفذة في اللغة العربية.

ولعل من يقرأ المقدمة تشده قراءتها إلى التنزه في رياض الكتاب ليقتطف من أزهارها ما ينعش فكره.

يقول : (أما بعد : فهذه منظومة في تفصيل الجمل منّ بها عليّ ربي عز وجل سميتها بعد تمامها ببلوغ الأمل ضمنتها الاعراب عن قواعد الاعراب وهو كتاب جليل في هذا الباب خال من الحشو والاطناب ومن التطويل والاسهاب لابن هشام صاحب المغني وقال: نظمت منه حال الابتداء ما وسعه ذهني وقد شرحته في ذلك الحال شرحاً على قدر الحال

وذلك سنة خمس وثلاثمائة وألف ثم لاحت مني التفاتة الى ذلك المنظوم وإلى شرحه المعلوم في سنة خمس عشرة وثلاثمائة وألف فقرىء عليّ ذلك النظم مع شرحه المذكور فرأيت ما فيه من قصور عن مرام أصله المشهور فتداركته بزيادة أبياته كان ذلك النظم منها خالياً وكسوته هذا المزيد مع الخطبة حللاً كان ذلك الشرح منها عارياً ثم أبقيت شرح الأبيات الأول على مافيها من خلل ليكون ذلك على عجزي دليلاً وليعلم المبتدىء أن العلم انما ينمو قليلاً قليلاً وليستبين الفرق بين درجتي المبتدىء والمنتهي والكل بفضل الله يبتدىء وبتوفيقه ينتهي وهذا أول النظم المشار اليه والكل منه تعالى واليه).

ولعلك تدرك معي أيها القارىء لهذا النص مغزى الإشارة بقوله: «وليستبين الفرق بين درجتي المبتدي والمنتهي» والمتتبع لفصول هذا الكتاب تعبيراً وتأصيلاً واجمالاً وتفصيلاً يجد مصداق هذه الإشارة في التحقيق والترجيح اللذين أبداهما في بعض المسائل وميض ينبىء عن غيث منسجم سيال بالمعرفة:

وهذا الشرح كما يبدو واضحاً كتبه المؤلف بعد فترة من نظم الأرجوزة المشروحة لأنه أشار بل صرح لأن الأرجوزة هي أول مؤلف له يتحف به المكتبة العلمية: وهو يقول:

سميت نظمه بلوغ الأمل	إذ بالنظام قد بلغت أملي
ولم أصنف قبله مؤلفا	قط فيعفو الله عن عبد هفا
اذ ليس يخلو أبداً من زلة	مؤلف وإن علا في الرتبة
فكيف يخلو من عثار مبتدي	وإن يكن بالسابقين مقتدي
إذ فهمه ينبو عن الوصول	لمدرك الفهم من الفحول

والكتاب وان كان صغير الحجم فهو عميم النفع فمتنه ميسر للحفظ وشرحه يكسوه حللاً سندسية تروق للناظر وتبهج الخاطر ولا أريد أن

أتوسع بـايراد نبذ من ذلـك الشرح الفريد من نـوعه ايضاحـاً وتنسيقاً فحسب القارىء أن يقلب صفحات الكتاب ليجد البرهان على ما أقول.

وأمـا المؤلف الثـاني فهو كتـاب «**المواهب السنيـة على الـدرة البهيـة**» شرح فيه الدرة البهيـة لشرف الدين بن يحيى العمريطي نظم متن الأجـروميـة لأبي عبـدالله محمـد بـن محمـد بن داود الصنهـاجي المعروف بابن أجرومي أي الفقير الصوفي.

وشرح نور الدين ـ رحمـه الله ـ شرح مختصر في جزأين لطيفين غير انه دليل واضح على البراعة التي يتمتع بها مؤلفه كما أن أسلوبه المتميز بالـوضوح والشموليـة مع كونه مختصراً دليل آخـر على حسن تصرفه وسعة علمه ولابأس بذكر مقتطفات من مقدمات الشرح ليستشف المطلع عليها ما وراءها من خبايا تضم أنفس الدرر.

يقول المؤلف: « نحمدك يامن رفع من نحى نحوه بضم المواهب اليهم ونصب دلائل معرفته بـالفتح المبين لديهم فانخفضوا لسلطانـه بالتذلل والانكسار وانجـزموا في خدمتـه بالسكينة والـوقار ونصلي ونسلم على أفصح نـاطق وأفضل صـادق سيـد الأولين والآخـرين وخـاتم النبيين والمرسلين وعلى آلـه وصحبـه وأصحـابـه الحائزين مبتـدآت الأمـور ومصـادرهـا والحارزين أفـاضل المسـاعي وأفـاخـرهـا وعلى تـابعيهم المؤكـدين لنعوتهم بأحسن ثنـاء العاطفين بسبق الاقتـداء ما تحرك بـه ساكن وما سكن متحرك».

ان هذه الشـذرات التي يتزين بها تاج الكتـاب كأنها فهارس مبرمجة لأهم أبواب النحو وفصـوله صاغها المؤلف فأودعهـا تلك الجمل القليلة العدد الغزيرة المدد.

أما عن طـول باعه في التدقيق والتحقيـق فينبىء عنه ما بثه في ثنـايا مؤلفـاته من مسائل نـاقشها وأبدى رأيه فيهـا فكان من فرسـان حلبة البيان ينقـد ويرجـح ويستدل ويصحح. وتبـدو موهبتـه اللغويـة الفذة واضحة جلية عندما ينبري لشرح مبهم وفتح مستغلق أو ايضاح مشكل

بأسلوب لايمل وايضاح لايحتاج المطلع على ما يراد شرحه إلى البحث عنه في مؤلف آخر.

وكتابه الذي سماه «**روض البيان على فيض المنان في الرد على من ادعى قدم القرآن**» للعلامة سعيد بن حمد الراشدي المعاصر له الذي حبر فيه بعض مراثيه أبرز دليل على ما أقول، وهذا نص من الكتاب أضعه بين يدي القارىء وهو واحد من عشرات النصوص الحافلة بالمباحث اللغوية واللطائف اللدنية . يقول ـ رحمه الله ـ شارحا لهذا البيت:

ورميتهم عن قوس بغي بالذي ألبسته من خالص البهتان

(فرمى بمعنى قذف على حد قوله تعالى ﴿والذين يرمون المحصنات﴾ أي يقذفونهن، مأخوذ من رمي الوتر عن القوس.

والقوس يذكر ويؤنث آلة الرمي في الزمان القديم، وسمي قوساً لانحنائه.

والبغي الظلم والتعدي واضافة القوس اليه من اضافة المشبه به الى المشبه على حد قول الشاعر:

والريح تعبث بالغصون وقد جرى ذهب الأصيل عن لجين الماء

والوجه الجامع في تشبيه البغي بالقوس هو أن البغي تصدر عنه الأشياء المفسدة لبنية الحيوان، وقرن القوس بعن لأن العرب تقول: رميت عن القوس ورميت على القوس. ولاتقول : رميت بالقوس الا اذا أرادوا القاء نفس القوس من اليد. وفي قرنه بعن اشعار بأنهم نحوا السهم عنه وفي قرنه بعلى اشعار بأن السهم كان موضوع فوقه)[1]

فبعد هذا البيان المجلي للمفردات التي وردت في البيت أيحتاج من قرأ هذا النص للبحث عنها في معاجم اللغة.

وليس التبيان مقتصراً على معاني المفردات ولكنه برز لما فيه من لطائف بلاغية كما فى تشبيه البغى بالقوس الحامل من إضافة المشبه

---

(١) مخطوطة روض البيان على فيض المنان ـ مكتبة السالمي.

به الى المشبه ، وذكر وجه الشبه الجامع بينهما ، وهكذا نجد العشرات من النصوص التى شرح بها .هذه النونيه.

وأعذب ما في تحايله اللغوي التوجيهات والتعليلات لوضع المفردات في مواضعها من الجمل والاطلاقات والتسميات فلا يغادر اطلاق تسمية على شيء تحتاج الى بيان مناسبة إلا أعطاها حظها من التعليل والإيضاح ولاسيما لدى التشبيهات والاستعارات وعلاقات المجاز لنأخذ مثالا واحداً من بين عشرات الأمثلة هذا النص الذي شرح به هذا البيت:

متعسفاً بيداء جهل راكباً عشواءة تهوي بغير عنان

قال ــ رحمه الله ـ : «متعسفاً حال من التاء في قوله «ورمنيهم» والتعسف هو فعل الشيء من غير رؤية ومنه تعسف الطريق اذا سلكها من غير قصد.

والبيداء المكان المنقطع الذي لاماء فيه، وسمي بذلك لأنه يبيد السالك فيه أي يهلكه، ويسمى أيضاً مفازة من باب تسمية الشيء بضده تفاؤلاً بالفوز من أخطارها كتسمية اللديغ سليماً تفاؤلاً بسلامته.

شبه الجهل بالبيداء بجامع أن كلا منهما يهلك صاحبه بالأخطار المجتمعة فيه وأضاف المشبه به وهو البيداء الى المشبه وهو الجهل ليحصل له تنفير السامع من ارتكاب الجهل لأن تلك الإضافة كأنها تشعر أن الجهل هو تلك البيداء لاغيرها فهو أبلغ من قولنا «زيد أسد» لأن اضافة المشبه به الى المشبه توهم أن للمضاف أنواعاً أحدها هذا النوع المضاف الى هذا المخصوص فكأن البيداء في كلام الناظم متنوعة الى بيداء جهل وبيداء غيره فخصصها باضافتها الى الجهل فحصل المقصود»[1]

ثم يختم شرح هذا البيت بعد أن أوضح كل الإيضاح ما احتاج إلى بيان من مفردات وجمل بقوله:

« شبه المصنف حالة هذا القاذف لأهل الحق بحالة رجل لاتمييز له راكباً على فرس لا بصر لها ولا لجام يمنعها تنقض به في بيداء ذات

(١) مخطوطة روض البيان على فيض المنان مكتبة السالمي.

مهاو مهلكة لسالكها. والجامع بين المشبه به والمشبه هيئة منتزعة من عدة أمور. فوجه التشبيه على حد قوله:

وقد لاح بالفجر الثريا كما ترى كعنقود ملاّحية حين نورا [1]

إن سحر البيان تلوح بروقه في هذا النص وأمثاله فلا يملك الفكر الذي يجول فيها الا أن يسلم لمنشئها انه إمام في اللغة إمام في البيان. وشرح هذا الكتاب الفريد من نوعه نسج على هذا المنوال مع غزارته في موضوعه «الرد على من ادعى قدم القرآن» فليس ما فيه من التحليلات اللغوية واللطائف البيانية الا حلل بهية يزهو بها.

أما عن التحقيق واقامة الحجج فيما يتطرق اليه من مباحث لغوية التي لها صلة مباشرة بعلم الأصول فانك تجد ذلك مفصلاً في أبواب كتابه «طلعة الشمس» الذي شرح به شمس الأصول».

وعلى سبيل المثال ما جادت به قريحته في مبحث المشترك اللفظي والمعنوي من ترجيح وتصحيح بعد عرض الأدلة والاجابات عليها، وقد يبين بما لاغبار عليه ان الخلاف بين المختلفين في وجوده ومحله انما هو خلاف معنوي لا خلاف لفظي[2].

وعندما نقل ما قاله أئمة اللغة وأئمة الأصول في استعمال «من» و «ما» لذوات العقلاء وغيرهم أو صفات العقلاء استخلص ما حاصله أن دلالة «من» على صفات من يعقل انما هي دلالة مجازية ، ودلالة «ما» على ذلك دلالة وضعية حقيقية، وذلك أن «من» قد تستعمل بمعنى «ما» مجازاً كما في قوله تعالى ﴿ومنهم من يمشي على أربع﴾[3] وقد تستعمل «ما» بمعنى «من» مجازاً أيضاً على قول كما في قوله تعالى ﴿والسماء وما بناها﴾[4] وقوله تعالى ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء﴾[5]

وعندما سرد أحكام المجاز وتطرق الى الحكم الذي هو الأخذ بالمجاز

---

(١) مخطوطة روض البيان على فيض المنان مكتبة السالمي.
(٢) طلعة الشمس ج ١ ص ١٤٠ ـ ١٤٢/وزارة التراث القومي والثقافة.
(٣) سورة النور..
(٤) سورة الشمس.
(٥) سورة الشمس.

وترك الحقيقة لمقتضى يدعو اليه فيما اذا أراد اللفظ بين الحقيقة والمجاز وكان المجاز أظهر اختار رجحانية المجاز على الحقيقة فهو يقول بعد ذكر الخلاف وأدلة كل فريق «وأقول: إن رجحانية المجاز بالقرينة الدالة على ارادته ولو لم تكن مانعة من ارادة الحقيقة ظاهرة فانه وان كانت الحقيقة هي الأصل فقد يترك الأصل بدليل»[1]

فأنت ترى أن اختياره لم يكن اعتباطا وانما كان تبعاً للدليل الأقوى ولايصل الى مثل هذه الاختيارات في المباحث اللغوية ولاسيما استعمالات الألفاظ في حقائقها ومجازاتها إلا ذو باع طويل في مجالات اللغة.

وعند كلامه على «أو» وذكر معانيها واستعمالاتها أوضح بجلاء أن «أو» انما هي موضوعة لأحد الشيئين المتوسطة بينهما وليست موضوعة في الحقيقة للشك أو التشكيك أو الإبهام أو الإضراب أو غير ذلك من المعاني التي ذكر أئمة اللغة أن «أو» تفيدها وضعاً. بل جعل مرد تلك الأحوال الى القرائن باعتبارها ثمرات لاستعمالات اقتضتها قرائن الأحوال لها أن «أو» موضوعة في الأصل لتلك المعاني.[2]

ولم يكن كلامه في معاني «أو» واستعمالاتها سطحياً دون أن يعرج على ما ينطوي عليه بعض تلك الاستعمالات من لطائف وأسرار يظهر ذلك جلياً عند كلامه على عموم «أو» بعد النهي كما في قوله تعالى ﴿ولاتطع منهم آثماً أو كفوراً﴾[3] في قوله «والسر في افادتها العموم ههنا انها لأحد من غير تعيين وانتفاء الواحد المبهم لايتصور الا بانتفاء المجموع فقوله تعالى ﴿ولاتطع منهم آثماً أو كفوراً﴾ معناه لاتطع أحدا منهم وهو نكرة في سياق النفي فيعم»[4]

هذا وما أوردته في هذه الصفحات القليلة إنما هو غيض من فيض وقطرة من بحر، وليس مغنيا ولا مستقصياً، ولكنها اشارات تستشف منها شخصيته الأدبية واللغوية، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) طلعة الشمس ج١ ص ٢١٤ ، ٢١٥
(٢) المرجع السابق ص ٢٣٣
(٣) سورة الانسان
(٤) طلعة الشمس ج ١ ص ٢٣٤

السالمي فقيهاً ومحققا

إعداد / د. صالح بن أحمد الصوافي

تقـــديم:

الحمد لله الذى أكمل لنا الدين، وأتم علينا النعمة، ورضي الإسلام لنا دينا، وأحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لااله الا الله وحده لاشريك له، أكرم الإنسان بالعلم، وزينه بالحلم ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، تركنا على المحجة البيضاء.. ليلها كنهارها .. لايزيغ عنها إلا هالك .. صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أعلام الهدى، ومصابيح الدجى، والتابعين ومن تبعهم بإحسان ، وسار على نهجهم واقتفى.

أما بعد: فمنذ فجر التاريخ الإسلامي ، والأمة الإسلامية تسير سيرة مشرقة الصفحات، ناصعة البيانات في تخليد أساطين رجالاتها من الرعيل الأول، وأئمتها قادة الفكر والعمل، الذين كانت لهم اسهامات ثرية، ومؤلفات بهيَّة وعطاءات تاريخية، ولعلّ هذا التخليد يفي ببعض من الواجب، تجاه أولئك الأفذاذ، وفيه موقف مشرف يحمل وفاء بالعرفان، واعترافاً بفضلهم في كل ميدان.

ولقد أسهم كثير من أصحاب الأقلام السيالة والأفكار الجياشة، في اظهار مجموعة من المؤلفات القيمة في الفقه والتوحيد، في السير والتاريخ، في اللغة والأدب، في التفسير والحديث، والى جانب ذلك ظهرت مؤلفات أخرى، وكتابات متنوعة في التراجم للأعلام، لأولئك الجهابذة الذين هم هداة الأمم وقادتها، ومفكروها وساستها.

وهـذا البحث ـ المتـواضع ـ يأتي في مسـار سير الأئمة الأعـلام وبنـاءً على دعـوة كريمـة من «المنتـدى الأدبي» الـذي يشرف على اهتمامـاتـه المباركـة صـاحب السمـو السيـد / فيصل بن علي بن فيصل آل سعيد، وزير التراث القوي والثقافة الموقر.

وانـه لشرف كبير ومن السعـادة بمكـان أن تسنـد إلى مهمـة الكتـابة عن هـذا المجـدد العظيم ، وفـاء ببعض الواجب تجاهـه واستجـابة للـدعـوة الكريمـة التي تلقيتهـا من رئاسة «المنتـدى الأدبي» مقدراً لهذا الصرح الثقـافي جهوده المبـاركة تجاه أئمتنـا الأعلام.

وقـد سعيت جاهـداً أن أقدم في بحثي هـذا عـرضاً مـوضوعيـاً يتلاءم وجلال المناسبة.

وبما أن مكانة هـذا الإمام العلمية منها والعملية معـروفة عند العمانيين بصفة خـاصة وعند غيرهم بصفـة عامة فـانه ليصعب عليَّ الإحاطة بحيـاته الخالدة المليئة بالعلم والمعرفـة، والطافحة بالأفكار النيرة المتوهجة، فقد آتاه الله من عطاءاته وأغدق عليه من نعمه، ووهبه من فيـوضاته، بالقدر الذي يجعلـه أهلاً لحمل راية الإسـلام، والتحدث بـاسم الإسـلام، ومن ثم كان فضل الله عليـه عظيماً.

وأقـول بصراحـة ووضـوح، إنـه مهما يتبـارى الكـاتبـون والمتحدثون عن هـذا الرجل العلامة ـ السالمي ـ فـان كتاباتهم لن تفيـه حقـه، وهذه الصفحـات التي أكتبهـا عن هـذا الإمـام وبكل تواضع فهي لاتطمع أن تـوفيه ـ رضي الله عنه ـ بعض حقه، ولا تزعم انها تقدم ـ السالمي ـ الى القراء إنما هي اشارات تومىء من بعيد على استحياء الى بعض اسهاماته العلمية، التي جعلت أفئدة الناس تهوي اليه في حياته وبعد موته، والتي جذبت ولاء الناس

لـه ولاءً منقطع النظير، حاملـة مبادىء الـدعوة ، ورافعـة مشعل العلم. فجعلت من كـل عبقهـا وعبيرهـا شـذى يعطـر الآفـاق، ويستميل القلوب ويمكن تلخيص هذا البحث في المحاور الآتية:

المحـور الأول : إشراق شمس مولده وملامح نشأته.

المحور الثـاني : التحاقه بـالمدرسة الـرستاقية وشيـوخه فيها.

المحـور الثالث : هجرة علم وعمل.

المحـور الرابع : مؤلفاته وأهميتها فقهاً وتحقيقاً.

المحور الخامس: السالمي في ذمة الله.

ولا يسعني في نهايـة هـذه المقـدمـة الا أن أتمنى لهذا الصرح العلمي «المنتدى الأدبي» أن يشق طـريقه لإحياء ذكـرى أساطين هذا البلـد المعطاء، في هـذا العصر الميمون المبـارك، عصر العلم، في ظل القيادة الرشيدة لسلطان البلاد المفـدَّى.

هذا وبالله التوفيق.

الباحث

المحـــور الأول

ـ إشراق شمس مولده، وملامح من نشأته.
ـ المولـــد ..... النشـــأة.

تمهيـــــــد :

إن تاريخنا العماني شهد رجالاً عقدوا عـزمهم على الوصول الى غاية تناهت في السمـو والرقي، والعـدالة والصفا ، ثم نـذروا لها حياتهم على نمط تناهى في التضحية والشجاعة، والبذل والعطاء.

ومن هؤلاء الرجال «العلامة السـالمي» الذي كان اشراق شمس مولده رؤى صادقة ومنعطفاً جديداً في تاريخ عمان الخالد.

المولـــــد :

لقـد صـافحت عينـاه نور الحيـاة عـام ألف ومـائتين وست وثمانين هجرية سنة ١٢٨٦ هـ في قـرية من أعمال «الرستاق» تسمى «الحوقين» ولد فيها ، ونشأ نشـأته الأولى بين رياضها، حتى شبَّ عـوده، وترعرع جسمه، واتقـد فكره، قرأ القـرآن الكريم في مـدرسة والده حميـد وكان رجلاً فاضلاً ورعاً.

ولقد شاء الله ـــ سبحانه وتعالى ـ أن يكف بصره وعمـره آنذاك إثنتا عشرة سنة، ولكن الله فتح بصيرتـه إذ كان يتمتع بحفظ خـارق ، وذكاء وقاد، وذاكرة كالعدسة المصورة التي تلتقط جميع ما تصوره. فلقد كان ـ رحمه الله ـــ لايستمع الى شيء من مسـائل العلم أو أبوابـه إلا وحفظه حفظاً متقناً، ولعلَّ هذه من الخاصيات التي يودعها الله أصفياءه وأولياءه وأهل طاعته.

ولقد كان من نـدرة حفظه، وقوة ذاكرته، أن حـدَّث أهله بعد أن شب عوده، متحـدثاً بفضل الله عليه، وذاكراً النعمـة التي منحه الله اياهـا، انه حفظ وهو ابن أربعة أشـهر أو دونها حسب تحريه هو بنفسه[1]

النشـــــأة:

نشـأ ـ رضي الله عنـه ـ نشـأة الطهر والعفـاف، والنقاء والزكـاء. ولقد كانت نشـأتـه هذه حـديث أهل بلده وأقرانـه، متحدثين عن طفـولته، عن سماتها، عن اشراقها، عن مشاهدها، يـردد بعضـهم ما أعظمها بأنه طفل غير عادي، وأنه ينطوي على سر مخبأ لايعلم كنهه إلا الله، غير إنهم كانوا مقتنعين أن هذا السر ستكشفه الليالي والأيام، وبالفعل ما هي الا سنوات قلائل حتى انكشف ذلك السر في جميع حالاته، فهنالك سر الرجولة التي كانت ملء كل قلب، وأذن وعين، وهنالك سر الضمير، فلقد أصبح ـ رضي الله عنه ـــ ضمير مجتمعه وقومـه. وهناك سر العلم، فلقـد منحه الله من فيوضاته العلمية الغزيـرة، فكان محط الأنظار، ومهوى الأفئدة ، وشيخ العلم والعمل ، تضرب اليـه أكباد الإبل من كـل حدب وصـوب فحياتـه جميعها أسرار، أصبحت واضحة المعالم مقـروءة القسمات بدءاً من المهد وانتهاءً باللحد.

---

(١) نهضة الأعيان للشيخ محمد بن عبد الله السالمي ص ١٠٠ وأيضا مقدمة

المحـــور الثاني

ـ التحاقه بالمدرسة الرستاقية وشيوخه فيها.

ـ المدرســـــة .... شـــــيوخه :

ـ المدرســـــة :

المدرسة الثانية التي تلقى فيها العلم تقع بمدينة (الرستاق) والرستاق بضم الـراء السواد والقُـرى، الـرزدق الصف من الناس ، والسطـر من النخل.

وفيها ثلاث لغات : الرستـاق ، والرزداق ، والرسداق، وهي تبعد عن مسقط العاصمة ما يقرب من ١٦٥ كيلو متر، جنوب ولاية «المصنعة».

ولقد تلقى شيخنـا السالمي علومـاً جمة في هذه المدينة «الـرستاق» في تلك المدرسـة، التي كـانت تـزخـر بالعلماء الأخيـار، والفقهـاء الأحبـار كـالعلامـة الشيخ راشد بن سيف اللمكي، والشيخ العـلامة عبـد الله بن محمد الهاشمي وغيرهم. فأخذ عن الشيخين المذكورين الكثير من العلوم، لقد بلغ في العلم شأواً كبيراً، ونال من المعرفـة قسطاً عظيماً، فهو العالم العامل، والمؤلف البارع، شرع في التأليف وعمـره آنذاك سبع عشرة سنة حيث ألف أرجوزتـه المشهورة «في الجمل» ثم قام بشرحها شرحـاً وافياً محققاً جامعاً، مما يدل على حدة ذكائه، وقوة فهمه، وسعة علمه.

شـــــيوخه : أولا : الشيخ اللمكي:

لقد قلت سابقاً أن ـ الإمام السـالمي ـ تتلمذ على الشيخ العلامة راشد ابن سيف اللمكي ـ رحمه الله ـ ولمكانـة هذا الشيخ الفقهية والاجتماعية ولكون شيخنا السـالمي أخذ عنه أكثر العلم ليجـدر بنا أن نبين للقارىء الكريم لمحة عن حياته وجهوده المباركة.

هو راشد بن سيف بن سعيـد اللمكي، ولد عام اثنين وستين ومائتين وألف بمحلـة «قمـري» من «الرستـاق» فنشأ بها وتعلم العلـوم وكـان

ملازماً للسيد الزاهد فيصل بن حمود بن عزان والشيخ العلامة ماجد ابن خميس العبري وقضى فترة من الوقت مدرساً «بالمدرسة الرستاقية» في مسجد قمري، ويروي الشيخ محمد بن عبد الله السالمي في نهضته أنه ـ رحمه الله ـ كان يجتمع اليه الطلبة في المسجد المذكور من أجل تلقي العلم، والعلّ من معينه، وكان الشيخ يبذل جهوداً مخلصة تجاه طلابه وكان متواضعاً، فبعد أن يجن الليل كان يضيء بنفسه الاضاءة في المسجد حيث بلغ عدد المصابيح سبع وحدات لكي يحلق حولها طلاب العلم.(١)

تخرج على يديه جملة من العلماء ، من بينهم ، شيخنا العلامة السالمي والشيخ سالم بن سيف اللمكي والشيخ العلامة الزاهد محمد ابن شامس الرواحي وغيرهم كثير.

كان الى جانب اهتمامه بالعلم والتعليم يهتم أيضاً بالدعوة ، دعوة الناس للمثابرة الى الخيرات، والمسابقة الى صنوف القربات، ولما لدعوته هذه من أثر في قلوب الناس، تبرع كثير من الأغنياء بحبس أموالهم على المتعلمين والمساجد ومختلف أبواب البر والصلاح. وله مؤلفات قيمة أثرت المكتبة الاسلامية، من بين هذه المؤلفات، «المسالك في علم المناسك» و «منظومة في السلوك» و «منظومة في فضل العلم» وأخرى «في نشر الحق» كان رجلاً مقداماً شجاعاً عاملاً ورعاً. له مواقف خالدة، وآراء ساطعة، توفي عام ١٣٣٣ هجرية عن عمر يبلغ احدى وسبعين سنة قضاها في العلم والعمل والصلاح والخير حوى هذا الشيخ من العلوم ما فاق به أقرانه.

عاش في وقت وعمان بحاجة الى أمثاله، نذر حياته للعلم والعمل به، توفي والجميع عنه راضون.

---

(١) نهضة الأعيان ص ٢٣٢

ثانيـــا ـ الشيخ الهاشمي:

وممن أخـذ عنهم العلـم أيضـاً الشيخ العـلامـة عبـــد الله بن محمـد الهاشمي عرف بين الخاص والعام بفضلـه وزهده وورعه، رأى ـ رحمه الله ـ المنـاصب تبحث عن موظفين من المسلمين، والأمـوال تأتي من هنا وهناك فما شغله ذلك عن العلم والتعليم، ولا صرفه صارف عن الاخبات والتواضع لله الحي القيوم، تنحصرأمانيـه في أمنية واحدة هي رضاء الله وحده، قضـى حياته في العلم والعمـل الصالح، ودعـوة الناس الى الخير والبر والهدى.

هـذه ومضة من حيـاة مليئـة بالاستبســال وعظيم الهمـة عاشـهـا ـ العلامة الهاشمي ـ في سبيل الله ورسوله، ودينه،

عندما قدم ـ الإمام السالمي ـ اليه ، ليلتحق بمدرسة الرستاق الزهراء استقبله شيوخها استقبال الوالد الحنون الذي يحمل كل الحب والاجلال وجوانح الشوق العظيم فرحاً به وبـانضمامه الى قائمة تلامذتهم، قدوم مبارك وميمون. ومضت الأيام ينادي بعضـها بعضاً ومع كل يوم تزداد همة السالمي، وعندمـا رأى الأستاذ نجابة تلميذه، وحـدة ذكائه، ومضاء عزمه، طـارت نفسه فرحاً بتلك المشاهد، وكأن «السـالمي» على موعد مع الشيخين اللمكي والهاشمي، فأخذا بجد ومثابرة يتابعان خيوط النور في مسراها على قسمات وجه النور السالمي، الذي أصبح إماماً فيما بعد.

وكان السـالمي كلما سمع أحداً يتحـدث عن العلم وفضله جلـس اليه وأصغى في سمت خـافت ، وبين المسـاءلة يطعم الحديـث بكلمة منـه أو كلمات يـرسلها في طـريق المشاركـة في البحث والرأي، قلَّ مـا يتكلم إلا والتأثير والايحاء يظهـران مكانتـه العلمية، يبصر شـاباً هـادىء الطبع ، كثير السمت، وقاد الصمت بينما هو في جـوانحه الداخلية ساحـة حافلة بالمعرفة، مليئة بالحركة، أنشطة تؤجج، وأناشيد تصلى، وأصوات تسبح.

عندمـا شاهد الشيخـان تلك الساحة وما فيهـا أدركا أن عنايـة الهية

ترعى الشيخ السالمي وإن له لساناً، شاهدا على حُبهُ للإسلام وأهله، والذود عن حياضه، ليس فقط من كيد أعدائه ، بل ومن خطأ علمائه.

عندما هاجر الى الشرقية من عمان «القابل» بلد الشيخ صالح بن علي الحارثي ـ رحمه الله ـ زاره الشيخ سعيد بن محمد الكندي النخلي فارتجل العلامة السالمي قوله:

ألا يا شيخنا الكندي أعندك مثل ما عندي

فرد عليه الشيخ الكندي ما عندك أيها الشيخ؟ فقال له:

وعندي للعلا همم تفوق النجم في البعد

هذا وإن القارىء لسيرته وأعماله ليدرك شأو تلك الهمم وأين بلغت؟ فحياته علم وعمل، وقيادة وريادة، وفقه وتحقيق، ونحو وتاريخ، وصلاح واصلاح الى غير ذلك من أنواع البر.

ثالثا ـ الشيخ العبري :

ومن العلماء الأخيار الذين تلقى على أيديهم العلم العلامة الزاهد ماجد ابن خميس بن راشد العبري الحمراوي نسبة الى بلده «الحمراء»

ولد ـ رحمه الله ـ في شهر رجب عام ١٢٥٢ هـ وقيل عام ١٢٥٤ هـ بقرية كدم ببلد الحمراء، فنشأ نشأته الأولى في حجر والده أبي الغبراء خميس بن راشد بعيداً عن اللهو واللعب.[١]

تربى في مدرسة والده على الإيمان والبر وحب الخير، والميل الى معالي الأمور، تعلم القراءة والكتابة من الشيخ ناصر بن سالم العدوي، وأخذ قسطاً من النحو ومبادىء التوحيد من والده.

وبعد أن توفي والده انتقل الى «الرستاق» وذلك أيام السيد الجليل قيس بن عزان بن قيس بن عزان البوسعيدي لما عرف بين الناس من رغبة هذا السيد في العلم حبه للعلماء، وتقريبه لهم وتشجيعه اياهم.

ولما توفي هذا السيد لازم ابنه السيد عزان بن قيس الذي عقد له بعد بالامامة.

كان الإمام العبري من أكبر فقهاء عمان، فلقد نذر حياته جميعها من أجل العلم، تعلماً وتدريساً وقضاءً وفتوى، وإلى جانب معارفه الفقهية فهو شاعر مجيد، له قصائد غراء في الوعظ والحكمة.

له أجوبة على أسئلة نثرية ونظمية في مختلف العلوم. ويقال لو جمعت أجوبته النثرية لتكون منها أربعة مجلدات.

مما عـرف به حرصه الشـديد على اتباع العلماء المتقـدمين. وكثيرا ما كان يغضب على علماء عصره المتأخرين، اذا رأى منهم فعلاً أو سمع لهم قولا يخالف السلف رد عليه بجرأة لا تلين.

ويعتبر هـذا الشيـخ من كبـار العلماء المحققين. تخرج عنـه علمـاء كثيرون، فقد قـرأ عليه إبـان اقامتـه «بالـرستاق» نـور الديـن السالمي، والشيخ العـلامة ابـراهيم بن سعيـد العبري، والشيخ سعيد بن صـالح العبري والشيخ علي بن هلال بن زاهر الهنـائي، والشيخ سالم بن راشد العبري، والشيخ محمد بن سالم بن بدر العبري والشيخ ثابت بن سرور الغلابي وغيرهم كثير.

وتروى له كرامات جليلة:

ـ منهـا أن شعر لحيته غلب عليه السـواد بعد موته ، شـوهد ذلك في حال تغسيله وتجهيزه.

ـ ومنها حفظ الله سمعة وعقله ولسانه الى آخر العمر.

ـ ومنها عدم انقطاعـه عن المسجد في مختلف الصلوات ولم يعجز عن شيء من عبادته وأوراده.

توفي ـ رحمه الله ـ في فجر اليوم الرابع والعشرين مـن شهر المحرم سنة ١٣٤٦ هـ والمسلمون عنه راضون.

ما أحسن الهجرة اذا كـانت من أجل طلب العلم والعلِّ من معينه، وفي القرآن الكريم ﴿ فلـولا نفر من كل فرقة منهم طائفـة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا لعلهم يحذرون﴾[1]

وفي الحديث الشريف قال رسول الله ﷺ : (ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً الى الجنة).

---

(١) نهضة الأعيان ص ٣٨٥

(١) سورة التوبة آية ١٢٢

المحـــور الثالث

هجرة علم وعمل .... هجرة من أجل العلم :

عندمـا سمع الإمام «السـالمي» عن علو صيت الشيخ صـالح بن علي الحارثي تاقت نفسه أن يلتقي به، وبالفعـل هاجـر ـ رحمه الله ـ الى بلد «القـابل» وذلك سنـة ألف وثلاثمائة وثمان سنين هجـريـة، ولقد عـزم الشيخ الحارثي عليـه أن يستـوطن القابـل، فامتثل لأمـره، ولبث عنـده معاضـداً له يلتقط مـن فوائده، ويستخـرج من فرائده، ويعتبر العـلامة الحارثي أحد شيوخه الذين أخذ عنهم العلم.

وقال الشيخ محمد بن عبدالله السالمي ـ نجل نور الدين ـ في نهضته:

«فكان الشيخ صـالح أحد شيوخـه، لقد أوتي حظاً وافـراً وشهرة في العلم فضربت اليـه أكباد الإبل، ووفـد اليه الأخيـار من سائر النـواحي، ودرس في سائر فنون العلم، كالتفسير والحديث وأصول الفقه، وأصول الدين، والنحو والمعاني والبيان، والمنطق، ودام على ذلك الحال حتى توفي الشيخ صـالح، ثم عاضـد بعده الشيخ عيسى بن صـالح وساعـده على تدبير الكثير من الأمور .. وأبدى في ذلك من حسن السيـاسة وعلو الهمة كل عجيب».

كـان لتنوع ثقـافته وشمـول معرفتـه، ما يبهـر العقول، فهـو الحبر الحاذق الفطن في كل شيء، في تفسير القـرآن .. في مختلف العلـوم التي أشرنا اليهـا، ومن ثم فقد كـان مقصد الباحثين والمحققين، يأتيـه الناس أفرادا وجماعات من مختلف بلدان عمان، ليسمعوا منه، وليتفقهوا عليه.

كان ـــ رحمه الله ـ الى جـانب ذاكرته الـوقادة يستمتع بـذكاء نـافذ، وفطنة بالغة، وهمة عاليه.

كانت حجتـه في الحديث والمناقشة كضوء الشمس وضـوحاً، وهو في منطقه وحـواره، لايترك مناقشَـهُ مفعماً بالـرضا والاقتنـاع فحسب، بل ومفعماً بالغبطة من جمال النَطق وروعته، وفطنة الحوار وأسلوبه.

تولى التدريس عن شيخه «الصالح» في مسجد الشيخ المشهور، فما ان سمع الناس بمقدمه الميمون، واقامته المباركة، إلا وأقبلوا عليه رجالاً وركباناً آمين مدرسته، ناهلين من علمه، مرتشفين من فيضه، تارعين من نهره، مستمعين الى نفاذ حجته، ونصاعة برهانه، سنوات قلائل، فاذا بهذه المدرسة الإيمانية تخرج لنا طرازاً مثالياً في العلم والعمل، والاخلاص والصفاء، والصدق والوفاء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمن ياترى هذا الطراز المثالي؟.

تلامذته :

قال العلامة الشيخ أبو اسحق[1] اطفيش ـ رحمه الله ـ : «تلاميذه كثيرون ولانبالغ اذا قلنا ان رجال العلم اليوم بعمان ـ يعني في زمنه ـ كلهم من تلاميذه، وقد نبغ منهم كثير. وأضيف الى هذه العبارة .. حتى في زماننا هذا فغالب فقهائنا من تلاميذ تلاميذه ـ رحمه الله ـ ثم قال أبو اسحق : وفي مقدمتهم العلامة الأفخم المؤيد امام عمان أبو عبد الله محمد بن عبدالله بن سعيد بن خلفان الخليلي الخروصي، بويع بالإمامة بعد وفاة شيخه».

قال « والعلماء من تلاميذه كثيرون، وحسبك أن صفوة الامامة هنالك ـ يعني في عمان ـ والذين قامت عليهم الإمامة والملك هم تلاميذه، وهذه الروح التي نفخها فيهم: حتى كانوا حمى للدين والأمة، من أكبر الشواهد على اخلاصه وعلو شأنه ومكانته ـ رحمه الله ـ»[2]

قال الشيخ محمد السالمي معلقاً على كلام الشيخ أبي اسحق: «وهي شهادة من عالم عامل»[3]

ومن مشاهير تلاميذه الامام العادل الزاهد الورع سالم بن راشد الخروصي فقد كان ملازماً له منذ صغره الى أن عقد عليه بالإمامة.

---

(١) أبو اسحق
(٢) نهضة الاعيان ص ١٠٤
(٣) نفس المرجع

ـ ومنهم الشيخ العلامة عيسى بن صالح الحارثي أحد العلماء الكبار في عمان له مواقف خالدة في نصرة الحق، وله أجوبة فقهية هامة جمعها ورتبها العالم الفقيه الشيخ سالم بن حمد الحارثي في مجلدين تحت عنوان: «خلاصة الوسائل في تحرير المسائل».

ـ ومنهم العلامة الدراكة رئيس القضاء والفتوى ـ في عمان آنذاك ـ أبو مالك عامر بن خميس بن مسعود المالكي كان معاضداً لشيخه في حلو الزمان ومره، له مؤلفات قيمة، وفتاوى عديدة في مختلف فنون العلم والمعرفة.

ـ ومنهم العلامة الزاهد عالم الاقتصاد عبدالله بن محمد بن رزيق الريامي الأزكوي يكنى أبا زيد، من الكتبة الماهرين حيث كان يكتب مسودات التأليف لشيخه. ولهذا الشيخ جهود علمية وعملية مباركة، لو لم يكن إلا اهتمامه الكبير ببيت مال المسلمين، وتنميته، الى جانب اهتماماته بأوقاف المسلمين الأخرى واصلاح أموالها.

ومنهم العلامة الشيخ أبو عبيد حمد بن عبيد السليمي السمائلي. وهو من أجل علماء عمان وُهِبَ علماً جماً وذكاء وقاداً وتولى القضاء، في عهد الإمامين سالم بن راشد الخروصي ومحمد بن عبد الله الخليلي وتولى التدريس بمسجد الخور بمسقط في عهد السلطان سعيد بن تيمور آل سعيد.

ومنهم الشيخ العلامة سيف بن حمد بن شيخان الأغبري، وهبه الله علماً وحفظاً، تولى القضاء ورئاسته في عدة محاكم شرعية.

ومنهم الشيخ العلامة سعيد بن حمد الراشدي، كان مسارعاً للخيرات معروفاً بالسكينة والوقار ، تاركاً لحظوظ النفس، ومتصفاً بالكمالات الإنسانية، مثابراً في تحصيل العلم النافع، له مؤلفات قيمة، ومواقف خالدة.

ومنهم الشيخ العالم الزاهد سالم بن حمد البراشدي، كان ولياً تقياً تقلد القضاء على بلدة سناو وما حولها.

ونحن لايعنينا في هذا البحث أن نذكر جميع تلاميذه، فعددهم لايحصى، وانما جل همنا أن نشير الى أن الإمام «السالمي» حياته مباركة مليئة بالعلم ونشره، وتثقيف أبناء مجتمعه، ونظراً لاخلاصه في عمله لله خالقه، صحبته عناية ربه، فأخرجت مدرسته صوراً علمية مشرقة، تتجلى فيمن ذكرناهم ومن لم نذكرهم من تلامذته الأساطين الذين كان يقوم الواحد منهم مقام أمة.

وبفضل هذا الرعيل من العلماء العاملين، انتشرت المدارس الفقهية في مختلف مدن عمان الكبرى، وانتشر التأليف، وعمت الدعوة الإسلامية أرجاء عمان، حيث شاع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقضي على الفساد والمفسدين والحمد لله.

قال مؤلف كتاب «نهضة الأعيان» : « هؤلاء مشاهير تلامذته والذين تحت طبقتهم كثير، بل لاتجد عمانياً له أدنى مسكة من العلم الا وقد اغترف من ذلك البحر، والتقط من ذلك الدر بحسب ما قسم له الواهب من المواهب[1]

قال العلامة عز الدين التنوخي[2] : «وما في اليوم من علماء الا وهم تلاميذه، ولا فيها من روح مقاومة المستعمرين الا منه، فهو مضرم نارها، وملهب أوارها»[3]

(١) نهضة الأعيان ص ١٠٦ ـ ١٠٧
(٢) عز الدين التنوخي من كبار علماء ومؤرخي سوريا
(٣) شرح الجامع الصحيح الجزء ٣ ـ المقدمة ص ط

المحـــور الرابع

مؤلفاته وأهميتها فقهاً وتحقيقاً :

إن الإنسان ليعجب كيف استطاع أن يؤلف تلك المؤلفات النفيسة في عمره القصير الذي لم يبلغ الخمسين، ومن تلك المؤلفات الجليلة ما يلي:

أولاً ـ أنوار العقول :

أرجوزة في أصول الدين، من أهم الأراجيز الفقهية التي لايتغني عنها طالب علم.

ثانيا ـ «بهجة الأنوار» :

وهو عبارة عن شرح مختصر لهذه الأرجوزة، طبع بهامش الجزء الأول من كتاب «طلعة الشمس».

ثالثا ـ «مشارق أنوار العقول» :

شرح مطول لتلك الأرجوزة من أحسن كتب الأصول العقدية تحقيقاً وتحريراً وصياغة، قال القطب محمد بن يوسف ـــ رحمه الله ـ لما اطلع على هذا الكتاب مشيداً به وبمؤلفه: «لقد أمعن صاحب المشارق».

رابعا ـ «غاية المراد» :

أرجوزة في نظم الاعتقاد، قام بشرحها وتحقيقها الشيخ العلامة، سليمان بن محمد الكندي شرحاً جامعاً مفيداً

خامسا ـ «شمس الأنوار» :

ألفية في أصول الفقه، وقد شرحها ـ يرحمه الله ـ شرحاً نفيساً ، تعتبر من أهم كتبه في أصول الفقه.

إن القارىء المتأمل في أبواب ومسائل هذا الكتاب، ليدرك مكانة مؤلفه العلمية تحقيقاً وتوضيحاً .

سادسا ـ «شرح الجامع الصحيح ، مسند الإمام الربيع بن حبيب الفراهيدي البصري» من أئمة الحديث المشهورين عاش في أوائل القرن الثانى الهجري .

وهـذا الشرح الجامع الشامل يقع في ثـلاثـة أجزاء مطبـوعة جميعهـا ومتداولة، ويعتبر هذا الشرح من الكتب المشتملة على أحاديث قام المؤلف بتحقيقهـا وتخريجها، ولتفنيـد الحديث الصحيح من الضعيف، وأقـوال المحدثين ومناقشة آرائهم.

سابعـاً ـ «مدارج الكمال نظم مختصر الخصال» :

وهـو عبـارة عن نظم لكتـاب «مختصر الخصال» لمؤلفـه الإمـام أبي اسحاق ابـراهيم بن قيس الحضرمي أحـد علماء الأباضية بـاليمن[1] ويعتبر أبـو اسحاق مـن الشخصيات القيـاديـة والأسـاطين الفكريـة في «حضرموت» في القرن الخامس الهجري.

لقد نظم الإمـام السالمي ذلك الكتـاب نظراً لأهميته الفقهيـة وتبسيطه لطلبة العلم، ويعتبر من الكتب الفقهية الهامة، تنيف على ألفي بيت.

ثامنـاً ـ « كتاب معارج الآمال » :

شرح نظمـه «مختصر الخصال» وجـاء ذلكم الشرح في أسلوب بـديع، يتنـاول معـاني الأبيـات في أول شرحهـا، ثـم يثني بـالمسـائل المتعلقـة بالموضوع نفسه من الأثر، ويعضدها بالأدلة تحقيقاً وتوضيحاً، ثم يذكر فروع المسألـة ويردهـا الى أصولها، ثم يضيف الى ذلك على مـا يقتضيه المقام من الفـوائد، ويرد اليها مـا كان من تلك القـواعد بعبارات جـزلة، حتى ان المسألة بعد تبيينها وتدليلها تصلح أن تكون في بحث مستقل لو أفردت، وجمائل هذا الكتاب ومحاسنه لايعرفهـا حق المعرفة ولا يقدرها حق قدرها إلا مـن وقف عليها. لقد اكتمل من أجزاء هـذا الكتاب ثمانية مجلـدات ضخمة، على أمـل منه ـــ يـرحمه الله ـ أن يكملـه في أكثـر من عشرين مجلـدا، ولكن الأجل المحتوم حـال بينه وبين اكمالـه فكان آخـر شرح له «كتاب الصوم والاعتكاف» .

---

(١) ابو اسحاق الحضرمي مستنجدا بالامام الخليل بن شاذان بن الصلت الخروصي (راجع صفحة الاعيان ص ٠١٢٠)

تاسعا ـ «جوهر النظام :

أرجوزة في الأديان والأحكام والأخلاق والحكم، تزيد على أربعة عشر ألف بيت، يتكون من أربعة أجزاء، وأعتقد أن شهرة هذا الكتاب الجامع تغني عن التعريف به، وقد لايخلو بيت عماني الا وهذا الكتاب موجود فيه، وهو مشهور بين جميع الناس عالمهم وجاهلهم، ذكيهم وبليدهم.

وهذا الكتاب رغم اختصاره لكثير من المسائل الا أن فيه الكثير مما شمله المؤلف بتحقيقاته وترجيحاته، مما يدلنا على أهمية هذا الكتاب تحقيقاً وتيسيراً للقضايا المختلفة التي لها صلة بحياة الإنسان العقدية والعبادية الى غير ذلك من مسائل الأحكام.

عاشرا ـ «تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان» :

ويضم هذا الكتاب بين صفحاته أحوال أهل عمان منذ انتقال العرب اليها الى عهد الإمام الزاهد سالم بن راشد الخروصي ـ رحمه الله ـ ، ويتكون من جزئين نفيسين.

وهذا الكتاب ـ بحق ـ يعتبر من أهم المصادر التاريخية عند العمانيين. لقد اهتم فيه المؤلف بتدوين وتسجيل نشاط الإمامة وشروطها وعهودها ومنهجها في الحكم ومكانة الأئمة بين الناس.

والخلاصة :

إن هذا الكتاب التاريخي الزاخر قد غطى جوانب مهمة من تاريخ عمان. كالجانب الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، والفكري والثقافي.

الحادي عشر ـ «الفتاوى» : عن قضايا عمانية وغيرها فى مختلف العلوم ، وقد بلغت هذه الفتاوى سبعة أجزاء، حسب ماذكر ولده أبو بشير في نهضته وقال : إلا أن الجزء الثامن لم يكتمل، ومجموع هذه الفتاوى مسائل متناثرة في مواضيع مختلفة غير مرتبة.

ومن بينها كتاب «حل المشكلات» وهو الرابع من تلك الأجزاء، تشتمل أجوبة هذا الجزء حلول ما شكل من مسائل مختلفة على تلميذه أبي زيد عبدالله بن محمد الريامي فعرضها على شيخه فأجاب بما يروي الظمآن ويشفي العليل.

ومما يجب أن أنوه به وأنبه عليه أنه من الخطأ المحض أن ينسب هذا الجزء على الشيخ أبي زيد ويعد من أجوبته.

والصحيح كما بينته أن المسائل الواردة فيه هي ما أشكل على العلامة أبي زيد وأجاب عليها شيخه النور السالمي ـ رحمهما الله تعالى ـ .

الثاني عشر ـ «المنهل الصافي في العروض والقوافي» :

وهي عبارة عن أرجوزة رائعة تزيد على ثلاثمائة بيت، قام ـ رحمه الله ـ بشرحها شرحاً مختصراً موضوعياً.

الثالث عشر ـ «بلوغ الأمل في شرح الجمل» وعليه شرح يجمع التحقيق والاختصار.

الرابع عشر ـ «شرحه على العمريطيه :

وهو شرح أرجوزة يحيى العمريطي. وهذا الشرح لايقل أهمية عما ذكرنا من شروحه القيمة لما يجمع بين صفحاته من ايجاز محكم وجهد متقن.

الخامس عشر ـ «الحجج المقنعة في أحكام صلاة الجمعة» :

وهذا الكتاب أورد فيه ما قاله الفقهاء من حجج في مشروعية صلاة الجمعة وشروطها ومتى تحب واين تجب وأحكام المصر.

السادس عشر ـ «اللمعة المرضية في أشعة الأباضية» :

«رسالة الحق الجلّ في سيرة الشيخ صالح بن علي» بين فيها مكانة ذلك العلم بين أقرانه ومنزلته بين نظرائه.

السابع عشر ـ ردّ في هذا الكتاب على أولئك الذين انجرفت أقلامهم في القدح والإفتراء على «الأباضية» عندما كتبوا في الفرق الإسلامية، قالوا: ان الفرقة الأباضية لم يكن لها وجود إلا بعد أن تكونت المذاهب الأربعة، وانهم لايوجد لهم من قبل أي مؤلف يذكر. فالمؤلف ـ يرحمه الله ـ أبدى

في هذا الكتاب ردّه المنطقي المقرون بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة، على أصحاب تلك الأقلام. مظهراً للقراء أن الأباضية وجدوا قبل المذاهب الأخرى، كما أن مؤلفات كثيرة ظهرت في المكتبات الموجودة آنذاك.

ويكفي أن كتاب : الجامع الصحيح» للإمام الربيع بن حبيب من أوائل المؤلفات في الحديث، حيث ظهر هذا المؤلف قبل ظهور «موطأ الإمام مالك» والبخاري ومسلم.

الثامن عشر- «رسالة بذل المجهود في مخالفة النصارى واليهود» :

حذّر في هذا الكتاب القيم من التشبه بالمشركين من أهل الكتاب وتقليدهم وبين فيه ضروباً من دسائس العدو التي من شأنها القضاء على المبادىء والمثل العليا، وتذويب الشخصية الإسلامية، وصهرها في مستنقعات الكفر والضلال.

التاسع عشر - «رسالة الحجة الواضحة في الرد على التلفيقات الفاضحة» :

ردّ فيها على الذي ادعى العلم وهو لم يبلغه، وتعاطى منزلة الاجتهاد من أهل زمانه وهو لم يهيأ لها.

ولعالمنا الجليل مؤلفات ورسائل أخرى، اضافة الى ديوان شعر في منتهى البلاغة والرقة، فيه من القصائد ما يلهب المشاعر، ويرهف الأحاسيس ويوقظ الضمائر.

قال العلامة عز الدين التنوخي في وصف العلامة السالمي : « فمن الحق أن نلم من ترجمته بما يصور حقيقته، ويبين منزلته بين العلماء المحققين .. ثم قال: انتهت اليه رئاسة العلم بعمان، وظهر ذلك في تآليفه الجمة في مختلف الفنون الفرعية والعربية مع التحقيق في مسائلها والإجادة في تأليف كتبها ورسائلها.

المحـــور الخامس

ـ مسألة وتحقيق .... السالمي في ذمة الله :

مسألة وتحقيق:

جرى خلاف فقهي بين الإمام النور السالمي وشيخه العلامة ماجد بن خميس العبري ـ رحمهما الله تعالى ـ .

وهذه المسـألة في أوقـاف القبور، وملخصهـا رأى الإمام السـالمي ما أحدثه الناس من بدعة الوصية للقراءة على القبور، وتهافت رعاع الناس على هذا الأمـر المحجور بنص الخبر المشهور، فصارت القبـور معمورة، والمساجد مهجورة خلاف أمر الله ورسوله.

فحكم «نور الدين» أن الـوصية بذلك باطلـة من أصلها ، ومرجع كل الأموال لـورثة الموصي، ان وجدوا وإلا وهم مجهـولون يتعذر الـوقوف عليهم، فقضى أن المجهول لبيت المـال على أشهر مافيه من الأقوال.

ولقد أمر ـ رحمه الله ـ الإمام سالم بن راشد الخروصي بامضاء ذلك الحكم وانفاذه ، اذا لاينفع قول بحق لا نفـاذ له، فأمضاه الإمام، وأدخل تلك الأمـوال العتيقـة في بيت مـال المسلمين، لعـز دولتهم، فشرع في بيع بعضها في حاجة الدولة.

فلما بلغ ذلك الصنيع شيخـه العبري كتب الى الشيخ العلامـة السالمي بانكار ذلك الحكم قائلاً:

انه لايجوز تبـديل الأوقاف عن سنتها، التي جعلت لها، فأجابـه نور الدين بـالحجج المقتضية لبطلان تلك الأوقاف المؤسسـة على غير ماكان عليه هدي رسول الله ﷺ [1] محتجاً بأن قراءة القرآن الكريم على القبور بـدعة لادليل لها من الكتـاب ولا من السنة المطهـرة، وأن النبي ﷺ زار قبور بعض أصحابه، ولم يرد عنه انه قرأ معها قرآنا ولا أمر بذلك، وانه

(١) نهضة الآعيان ص ٣٨٨

قال: «خير القبور دوارسها» وقال : «لاتجعلوا قبري وثنا يعبد» وقال : «لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» الى غير ذلك من الاحاديث النبوية الدالة على منع ذلك.

ومنها تعظيم القبور، وأن الإيصاء لها نوع من تعظيمها، وذلك مناف ومخالف لهديه ﷺ، ومجانب لأمره، وفي الحديث الصحيح «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد».

ولقد رد الشيخ ماجد بقوله : إني أسلم لكم أن القراءة على القبر لاتصلح فما المانع من أن تكون في مسجد من المساجد. التي هي موضع للعبادة، وبامكان القارىء أن ينوي بها بالأجرة القراءة عن الميت الذي أوصي له بها، وعن الموصي بها فيأخذ الأجرة حيث لا محذور مما قلتم.

أجاب السالمي على ذلك بقوله: « إن القراءة بالأجر مختلف فيها ، فبعضهم منع أخذ أجر عليها لانها عبادة، بعض الفقهاء أجازه، ونحن نأخذ بقول المانعين ونحكم به».

فرد الشيخ العبري بقوله : «أنا أسلم ثبوت الخلاف بين العلماء في جواز أخذ الأجرة على قراءة القرآن وتعليمه، ولكن الموصي أخذ في ذلك بقول المجيزين، والأوصياء والورثة أنفذوا تلك الوصايا ، وأخرجوها من أموالهم، عملاً بقول المجيزين، والعامل بقول لايعنف ولا يرد فعله، فكما وسع المختلفين بالرأي في ذلك ، فكذلك يسع العاملين بشيء من أقوالهم.

فأجاب النور السالمي: ان أصل الإيصاء بذلك والانفاذ له من الورثة والأوصياء لايكون حجة تقطع الخلاف وتمنع رد الفعل لانه فعل جاهل ولايكون قطع الخلاف في مسائل الاختلاف الا من امام عادل فيصير حكمه في المختلف فيه كالمجمع عليه، فلا يجوز نقضه لأحد من بعده في ذلك، أو ممن يثبت حكمه في المختلف فيه من سائر الحكام والعلماء الأعلام.

أما الجاهل فلا عبرة به، ولذلك لاتجد اماماً ولا عالماً أوصى أن يزار قبره أو يتلى معه القرآن، فهي باقية الى هذا الأوان غير محكوم فيها بشيء نعلمه ممن سبقنا من الأئمة، ولا هداة الأمة، فقد حكمنا نحن الآن ببطلان هذه

الوصـايا كلها، سواء كـان الموصي معلوماً أو مجهولاً، ولكن المعلـوم اذا كان ورثتـه معلومين فـالموصي به للـزيارة يـرجع اليهم ميراثاً على مـا بينهم من السهام، والمجهول يرجع لبيت المـال على أصح الأقوال.

فـاستمر نـور السـالمي على اثبات حكمـه، والشيخ مـاجد على اعتراضـه، وطالت بينهما المراجعـة والرد في ذلك، ثم استمـر الشيخ ماجـد في الاحتجاج على الامام سالم بن راشد الخروصي ويخوفه في قبول هذا الحكم ويغلظ عليه المقال حتى ظن الناس انه قطع بذلك عذر نور الدين السالمي، وانه لم ير هذه من مسائل الاجتهـاد، ولا مما يسوغ فيـه الرأي ... ولم يلبث السالمي بعـدما رأى تشديد الشيخ ماجد على الامام الخروصي، حتـى جاء قاصداً بنفسه اليه ببلد «الحمراء» ليبين له الحق أو يتبينه منه» [1]

مايستفاد من هذه المسألة :

ـ الإمام نور الدين السالمي ظهر لنا من خلال تحقيقه لهذه المسألة وغيرها من المسائل انه من كبار علماء التحقيق والبحث والتنقيب.

ـ اهتماماته بتغيير ما قد يصبح في يـوم من الأيام كأنه سنة متبعة، وهي بدعة منكرة.

ـ تحرزه مما يؤدي الى الاختلاف والى تفرقة كلمة المسلمين.

ـ تـواضعه المعروف وخلقـه الرفيع يظهر من تقديـره لشيخه عندمـا جاء قاصداً اليه للاجتماع به.

السالمي في ذمة الله:

لقد كان النور السالمي حريصاً في كل بحـوثه ومناقشته أن يقنع مناظريه وباحثيه خصوصاً اذا كان المناظر أو الباحث له من كبار العلماء.

ان مسألة أوقاف القبور أخذت من الشيخ جهداً مضنياً حيث أنه أصر على نفسه أن يذهب لزيارة شيخه العبري من أجل اقناعه مشافهة ـ كما بينا ذلك سابقاً ـ.

---

(١) نهضة الأعيان ص ٣٣٨ ـ ٣٣٩

فالنـور السالمي تـوجه من أجل اللقاء بشيخـه في بلد «الحمـراء فكان من قضاء الله وقدره انـه لما وصل ومن معه من الوجهاء الى قريـة تسمى «قرية بني صبح» من أعمال ولاية الحمراء، وكانـت الشمس تدنو من غروبها هموا على المبيت بتلك القريـة، فتوجهـوا الى محلة معينة منهـا ، واذا بشيخنا ممتط راحلته فصدعه غصن شجرة مائل على الطـريق وهو لم يبصره لكونه ضريراً ولم ينبهه أصحابه لأمر أراده الحق سبحـانه وجل في علاه فألقاه من راحلته الى الأرض واهي القوى، ولبث مريضاً الى اليوم السادس والعشرين من صفر عام اثنين وثلاثين وثلاثمائة وألف هجرية مشلول الحركة.

وكان سفـره الى بلدة «الحمراء» في اليـوم الثامن عشر من شهـر صفر في السنة المذكورة.

وعلى الرغم من هذا المرض العضال الذي سببه سقوطه من الراحلة الا أن الشيخ ماجد كان يراجعه ويحاوره ويناقشه.

وكان الشيخ السالمي لرحابة صدره المعروفة لايألو جهداً في الجواب لكن من حضر من التـلامذة والـوجهـاء ارتأوا تأجيل الخوض في مسألة أوقـاف القبـور رجاء عـافيته ثم يتبـاحثـان فيما بعد فيما اختلفـا فيه فأجـابهم اني أخشى المعاجلة قبل أن يفهم الشيخ العبري ما عندي فافترقا على ما يلي:

ـ أن الشيخ ماجد رجع عن تخطئته.

ـ ان هذه المسألة من مسائل الإجتهاد.

لقد طلب الشيخ نور الدين من مرافقيه أن يحملوه الى نزوى» فأمر الشيخ حمير بن نـاصر النبهاني أن يحمل على الأكتـاف الى «تنوف» بلـد قريبـة من نزوى» وشق عليه الخروج منها.

قدم الإمام سالم لعيادته ليلة التاسع والعشرين من الشهر المذكور وكان ـ رحمه الله ـ تلك الليلة أخف مـرضاً، فعاد الإمام الى «نـزوى» مسروراً بعافية شيخه، ثم تضـاعف المرض حتى انتقل الى جوار ربـه ليلة الخامس عشر من شهر ربيع الأول من السنـة المذكورة بعـد ما ترك لـلأمة رصيـدا نفيساً من أمهات الكتب، وتوجها روحياً أنار به القلوب.

ولقد وري جثمانه ببلدة «تنوف» ، آنفة الذكر بعدما صلى عليه تلميذه العلامة أبو زيد عبدالله بن محمد بن رزيق الريامي. وقبره معروف يقع على سفح جبل من تلك القرية»[1]

خاتمـــة :

نخلص من تلك المحاور الخمسة الى النتائج التالية:

- العلامة السالمي صاحب فهم خارق ، وحفظ نادر، وموهبة عظمى وبصيرة ثاقبة.
- بدأ التأليف وعمره لايتجاوز السنة السابعة عشرة وهذا دليل ندرته في الحفظ والفهم.
- كان فقيهاً ملهماً، تدلنا على ذلك مؤلفاته الفقهية الزاخرة كـ «كتاب معارج الأمال شرح مختصر الخصال» و «جوهر النظام» و «طلعة الشمس» في أصول الفقه وغيرها مما ذكرناه من مؤلفات فقهيه في المحور الرابع.
- الى جانب كونه فقيهاً فهو أيضاً من كبار علماء التحقيق، وخير دليل على ذلك، كتابه «معارج الآمال» الذي أوسع مسائله بحثاً وتحقيقاً وتدليلاً.
- العلامة السالمي لغوي وشاعر ملهم، تدلنا على ذلك مؤلفاته اللغوية وقصائده الشعرية.
- له باع طويل في علم الحديث والمصطلح،وأقوى برهان على صحة ذلك شرحه «للجامع الصحيح لمسند الإمام الربيع بن حبيب الفراهيدي رحمه الله.
- زهده وفضله لايشق لهما غبار، فهو في الزهد ندرة أهل زمانه، وهو في الفضل سيد أقرانه.
- الى جانب علمه الفياض نجد عمله الجاد في اصلاح مجتمعه وتطهيره من الزيغ والانحراف.
- هو الداعية المثالي، وهو العالم الرباني، وهو الحجة في القول والعمل.
- عمره لايتجاوز الثامنة والأربعين وهو رجل ضرير، وفي هذه السنوات

---

(١) المرجع السابق بتصرف ص ١١٢

المعدودة ترك للأمة العـديد من المؤلفات، التي يحار العقل كيف استطاع في هذا الظرف القصير أن يـؤلف تلك الكتب العظام لولا عنايـة خاصة من الله ترعاه.

ـ كان محبوباً معظماً عند الناس جميعهم، اليه انتهت رئاسة العلم في عمان.

وبالجملـة فان النـور السالمي قضى حياتـه في أخذ العلم وتعليمـه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واصلاح المجتمع.

وبهذه النتائج أستميح القارىء الكـريم عذراً أن أرفع القلم عن هذا البحث المتواضـع راجياً من الله عـز وجل أن أكون قد وفقت فيما طلب مني، ومن الله أستمد الأجـر والمثوبـة، وأسأله سبحـانه أن يكـافىء بالخير العميـم والرحمة الـواسعة شيخنـا النـور السـالمي وأن يسكنه فسيح جنـاتـه جـزاء ما قـدم للإسـلام والمسلمين وصـلى الله على سيدنا محمد وعلى آلـه وصحبه أجميعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المراجع :

١ ـ نهضة الأعيان، بحرية عمان، للشيخ محمد بن عبد الله السالمي.
٢ ـ تحفة الأعيان الجزء الأول والثاني للعلامة نور الدين السالمي.
٣ ـ مقدمة الجزء الثالث من شرح الجامع الصحيح للشيخ عزالدين التنوخي.
٤ ـ مقدمة «جوهر النظام» للعلامة أبي اسحاق ابراهيم اطفيش.
٥ ـ معارج الآمال شرح مدارج الكمال ، للعلامة نور الدين السالمي.
٦ ـ مشارق أنوار العقول ، للعلامة نور الدين السالمي.
٧ ـ مقتطفات من مقالات مختلفة.

جهود السالمي في خدمة الأدب في عُمان

د. أحمد درويش

منذ نحو قرن وربع من الزمان كان ميلاد الشيخ العلامة نور الدين ابن محمد بن عبدالله حمد حميد السالمي، وخلال نصف قرن أو أقل عاشه هذا العالم الجليل بين عامي ١٢٨٨ ـ ١٣٣٣هـ الموافق لعامي ١٨٦٥ ـ ١٩١٤م. قدر له أن يلعب دوراً هاماً في تاريخ عمان فكراً وسلوكاً وأن يحتل مكانة بين زعماء الإصلاح في العالم العربي والإسلامي في هذه الفترة الدقيقة.

والواقع ان هذه الفترة التي مر بها العالم الإسلامي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، والربع الأول من القرن العشرين، شهدت ظهور طائفة من علماء الدين المستنيرين، الذين لم تقف اهتماماتهم عند تطوير مناهج البحث ومذاهب التفكير على أهميتها، وانما تجاوزتها الى الاستعانة بالروح المستمدة من الفهم الناضج للدين، في ايقاظ الشعوب ودفع عجلتها الى الأمام والوقوف بها في وجه التيارات التي تدعوها الى الخمول أو الإستسلام أو الفرقة أو التناحر.

وليس مصادفة أن يتتابع ظهور هذه الطائفة من العلماء في أزمنة متقاربة وفي أماكن متباعدة من العالم الإسلامي، يجمعهم وحدة الخطر، ويستعينون أحياناً على دفعه بتشابك الأيدي وتمحيص الآراء، ويكتفون أحياناً بالتقاء هتافات الروح الجريحة، وقد نجد بين أيدينا أحياناً وثائق على تحقق هذه اللقاءات، وقد تنعدم أو تنطمر هذه الوثائق فلا نحس الا أصداءها ولا نتلمس الا نتائجها.

هل من المصادفة أن يكون ميلاد جمال الدين الأفغاني عام ١٢٥٤ هـ/١٨٣٨م وأن يكون مولد الشيخ محمد عبده عام ١٢٦٥هـ/١٨٤٩م

ومولد الشيخ نور الدين السالمي عام ١٢٨٨هـ/حوالي ١٨٦٥م، بفوارق زمنية لاتزيد على العقد والعقدين بين كل منهم والآخر، وأن يكون العقد الأخير من القرن التاسع عشر، فترة ازدهار في أفكار هؤلاء العلماء ومن شايعهم في محاولة لإرساء النهضة في عالم اسلامي كان يحس بوحدة الخطر قوية في هذه الأحيان، وقد لاتكون لدينا وثائق قوية حول الاتصال بين الشيخ السالمي وكل من جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده أو السيد رشيد رضا، الذين تجمعت لدينا وثائق كثيرة عن ظروف لقاءاتهم وحصادها، ولكن إشارة تتردد في الحديث عن تاريخ حياة الشيخ السالمي، كتبها ابنه أبو بشير محمد شيبه. في كتابه «نهضة الأعيان بحرية عمان» تؤكد امكانية وجود الصلة، حيث يقول أبو بشير: «وكانت بينه وبين علماء المغرب وبعض علماء مصر مراسلات ومواصلات وأبحاث حسنة» [١] ومعلوم أن جانباً كبيراً من نشاط الأفغاني ومحمد عبده كان يتركز في مصر في نهايات القرن التاسع عشر حتى وفاة الأفغاني سنة ١٨٩٧م ثم امتد حتى وفاة محمد عبده ١٩٠٥، وظلت الشعلة يحملها تلميذه الشيخ رشيد رضا الذي توفي عام ١٩٣٥م، وتلك كلها تواريخ ذات دلالة في حياة الشيخ السالمي الذي توفي عام ١٩١٤م عن تسعة وأربعين عاماً، أي انه كان في الأربعين عند وفاة الشيخ محمد عبده وفي الثانية والثلاثين عند وفاة السيد جمال الدين الأفغاني، واذا أضفنا الى هذا التوافق الزمني، شدة اهتمامه بأحوال الأمة الإسلامية كما يقول انه: «كان مشغول البال بأمته، يفرح بما ينفعها ويحزن لما يضرها، وانه ليكتئب اذا أصيب أحد من الأمة بحدث ولو بالصين»[٢] ، اذا أضفنا هذه العناصر بعضها الى بعض التوافق الزمني بينه وبين زعماء الإصلاح؛ الأفغاني ومحمد عبده، والمراسلات بينه وبين

(١) نهضة الأعيان ، بحرية عمان ، تاليف ابو بشير محمد شيبه بن نور الدين بن عبد الله بن حميد السالمي، مكتبة العلوم ـ مسقط ـ د.ت ص ١٢٢
(٢) المرجع السابق ص ١١٩

بعض علماء مصر، وشدة اهتمامه بأحوال الأمة الإسلامية في مختلف الأرجاء، أمكننا أن نطمئن الى وجود لون من الصلة الروحية بين العالم المصلح العماني وجيل المصلحين من العلماء المعاصرين له في أرجاء العالم الإسلامي، أفغانستان ومصر، وتركيا، والمغرب والجزائر، واذا كانت المصادر قد تحدثت عن مراسلاته مع بعض العلماء والزعماء مثل الإمام القطب محمد بن اطفيش، وسليمان باشا الباروني تفصيلاً فانها أجملت ألوان العلاقات الأخرى المحتملة كما أشرنا.

وتساعدنا بعض هذه المراسلات التفصيلية حول علاقات السالمي ببعض زعماء وعلماء الأمة الاسلامية، على تصور المكانة التي كان يحظى بها لديهم، وهي مكانة تعكس بدورها القدر الذي كان يوليه هو من الإهتمام بمشاكل الأمة الفكرية والسياسية، فهاهي رسالة سليمان باشا الباروني الى الشيخ السالمي، تطرح عليه تساؤلات تتعلق بمجمل أحوال المسلمين وسبب فرقتهم، وتأثير تعدد مذاهبهم على هذه الفرقة وامكانية تضييق الفجوات بينهم والسبل التي يقترحها الشيخ للوصول الى هذه الغاية اذا كانت ممكنة[1] والواقع ان اجابات الشيخ على الأسئلة التي تتضمنها الرسالة تبين أن فكره يتجه الى الأمة في مجملها، وأنه لايحصره في طائفة دون أخرى، وذلك كله يؤكد انتماءه الى طبقة زعماء الإصلاح من العلماء المسلمين التي عرفها العالم الإسلامي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين.

ولاشك أن هناك أسبابا موضوعية جعلت من هذه الفترة بالذات موطناً ملائماً لظهور طائفة المصلحين الدينيين السياسيين في العالم الإسلامي على اختلاف مواقعهم، فلقد كانت موجة المد الاستعمارى التي بدأت منذ القرن الخامس عشر الميلادي، تلتف حول العالم الإسلامي من جوانب عدة وكانت عمان واحدة من الثغور الإسلامية التي لمست عن

(١) أنظر في الرسالة والرد عليها في «نهضة الأعيان» ص ١٢٢ وما بعدها.

ومولد الشيخ نور الدين السالمي عام ١٢٨٨هـ/حوالي ١٨٦٥م، بفوارق زمنية لاتزيد على العقد والعقدين بين كل منهم والآخر، وأن يكون العقد الأخير من القرن التاسع عشر، فترة ازدهار في أفكار هؤلاء العلماء ومن شايعهم في محاولة لإرساء النهضة في عالم اسلامي كان يحس بوحدة الخطر قوية في هذه الأحيان، وقد لاتكون لدينا وثائق قوية حول الاتصال بين الشيخ السالمي وكل من جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده أو السيد رشيد رضا، الذين تجمعت لدينا وثائق كثيرة عن ظروف لقاءاتهم وحصادها، ولكن إشارة تتردد في الحديث عن تاريخ حياة الشيخ السالمي، كتبها ابنه أبو بشير محمد شيبه. في كتابه «نهضة الأعيان بحرية عمان» تؤكد امكانية وجود الصلة، حيث يقول أبو بشير: «وكانت بينه وبين علماء المغرب وبعض علماء مصر مراسلات ومواصلات وأبحاث حسنة» [١] ومعلوم أن جانباً كبيراً من نشاط الأفغاني ومحمد عبده كان يتركز في مصر في نهايات القرن التاسع عشر حتى وفاة الأفغاني سنة ١٨٩٧م ثم امتد حتى وفاة محمد عبده ١٩٠٥، وظلت الشعلة يحملها تلميذه الشيخ رشيد رضا الذي توفي عام ١٩٣٥م، وتلك كلها تواريخ ذات دلالة في حياة الشيخ السالمي الذي توفي عام ١٩١٤م عن تسعة وأربعين عاماً، أي انه كان في الأربعين عند وفاة الشيخ محمد عبده وفي الثانية والثلاثين عند وفاة السيد جمال الدين الأفغاني، واذا أضفنا الى هذا التوافق الزمني، شدة اهتمامه بأحوال الأمة الإسلامية كما يقول انه: «كان مشغول البال بأمته، يفرح بما ينفعها ويحزن لما يضرها، وانه ليكتئب اذا أصيب أحد من الأمة بحدث ولو بالصين»[٢] ، اذا أضفنا هذه العناصر بعضها الى بعض التوافق الزمني بينه وبين زعماء الإصلاح؛ الأفغاني ومحمد عبده، والمراسلات بينه وبين

(١) نهضة الأعيان ، بحرية عمان ، تاليف ابو بشير محمد شيبه بن نور الدين بن عبد الله بن حميد السالمي، مكتبة العلوم ـ مسقط ـ د.ت ص ١٢٢
(٢) المرجع السابق ص ١١٩

بعض علماء مصر، وشدة اهتمامه بأحوال الأمة الإسلامية في مختلف الأرجاء، أمكننا أن نطمئن الى وجود لون من الصلة الروحية بين العالم المصلح العماني وجيل المصلحين من العلماء المعاصرين له في أرجاء العالم الإسلامي، أفغانستان ومصر، وتركيا، والمغرب والجزائر، واذا كانت المصادر قد تحدثت عن مراسلاته مع بعض العلماء والزعماء مثل الإمام القطب محمد بن اطفيش، وسليمان باشا الباروني تفصيلاً فانها أجملت ألوان العلاقات الأخرى المحتملة كما أشرنا.

وتساعدنا بعض هذه المراسلات التفصيلية حول علاقات السالمي ببعض زعماء وعلماء الأمة الاسلامية، على تصور المكانة التي كان يحظى بها لديهم، وهي مكانة تعكس بدورها القدر الذي كان يوليه هو من الإهتمام بمشاكل الأمة الفكرية والسياسية، فهاهي رسالة سليمان باشا الباروني الى الشيخ السالمي، تطرح عليه تساؤلات تتعلق بمجمل أحوال المسلمين وسبب فرقتهم، وتأثير تعدد مذاهبهم على هذه الفرقة وامكانية تضييق الفجوات بينهم والسبل التي يقترحها الشيخ للوصول الى هذه الغاية اذا كانت ممكنة[1] والواقع ان اجابات الشيخ على الأسئلة التي تتضمنها الرسالة تبين أن فكره يتجه الى الأمة في مجملها، وأنه لايحصره في طائفة دون أخرى، وذلك كله يؤكد انتماءه الى طبقة زعماء الإصلاح من العلماء المسلمين التي عرفها العالم الإسلامي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين.

ولاشك أن هناك أسبابا موضوعية جعلت من هذه الفترة بالذات موطناً ملائماً لظهور طائفة المصلحين الدينيين السياسيين في العالم الإسلامي على اختلاف مواقعهم، فلقد كانت موجة المد الاستعمارى التي بدأت منذ القرن الخامس عشر الميلادي، تلتف حول العالم الإسلامي من جوانب عدة وكانت عمان واحدة من الثغور الإسلامية التي لمست عن

(١) أنظر في الرسالة والرد عليها في «نهضة الأعيان» ص ١٢٢ وما بعدها.

« يـوقن أن اللغة مـادة البلاغـة وجمال التعبير، وكـان من شواغلـه الكثيرة .. احياء اللغـة مادة وعلما ودراسة وكتـابة، فكـان يعين جماعة احيـاء الكتب العربيـة بعلمه ووقتـه ومالـه ونفوذه، وكـان ينشر نماذج البلاغة السلفيـة ويشرحها بقلمه أو ينوه بها في دروسـه وتفسيراته من قبيل «نهج البـلاغة» و «مقامـات البديـع» و «دلائل الإعجاز» و «أسرار البلاغة» ، وقـد نظم الشعر في الحوادث التاريخية وفي بعـض المناسبات الخاصة، وعـدة من النظم الـذي يراد للتـدوين أو التذكير ولا يـرتضيه شعراً على مذهبه في فن الشعر بين ألوان الفن الجميل»[1]

الإشتغال بالأدب وعلومه والكتابة فيه إذن خاصة مشتركة بين زعماء الاصلاح الدينيين لهذه الفترة، سواء مـارسه بعضهم من خلال التأليف وتحقيق الكتب التراثيـة، أو من خـلال المقـالة الصحفيـة، أو من خـلال الخطابة أو نظم الشعر، وقد ضرب السالمي بسهم وافر في كثير من هذه الميادين المتصلـة بالأدب د فلقد كـان مشهوداً لـه بالخطابـة وكما يقول صاحب نهضـة الأعيان: «كان خطيبـاً منطيقاً يـرتجل الخطب الطوال في المجامع والمحـافل حسب ما يقتضيـه المقام من السعي في اصـلاح الأمة وجمع الشمل يرغب ويرهب بأبلغ بيان وأفصح لسان»[2]

وكـان بالإضـافة الى ذلك صـاحب مؤلفـات في علوم تتصل بـالأدب كتأليفه في علم العروض، كتاب «المنهل الصافي في علم العروض والقوافي» وقد جاء في شكل أرجوزة تزيد على ثـلاثمائة بيت، وله رسالة في النحو بعنوان «بلوغ الأمل».

أما صنـاعة النظم والشعـر عنده فقـد وجه الجانب الأكبر منهـا نحو تدوين المعارف نظماً اتبـاعاً لسنة قديمة شـائعة في التراث العربي، وهي أكثـر شيـوعاً في ذلك التراث بعمان، وقـد بلغت بعض أراجيـزه في هـذه النـاحية نحـو أربعـة عشر ألف بيت مثل أرجـوزة «جـوهر النظـام» في الأديان والأحكام والأخلاق والحكم.

---

(١) الأستاذ الإمـام محمد عبـده، عبقري الإصلاح والتعليم، عبـاس محمود العقـاد ص ٢٦٧ وما بعدها ـ سلسلة أعلام العرب ـ القاهرة.

(٢) نهضة الأعيان ص ١٢٠

والى جانب النظم كانت له مجموعة من القصائد ذات النفس الشعري وقد أشرنا الى نموذج منها، وأشار صاحب نهضة الأعيان الى نماذج أخرى، وقد ترك السالمي ديوان شعر مخطوطاً ما زال في مكتبته ببديه حتى اليوم.

على أن السالمي أسدى خدمة جليلة أخرى للأدب العربي في عمان، تمثلت في تدوين كثير من أخبار الشعراء والأدباء، ونماذج من نتاجهم وما كان لبعضها أن يصل الينا لولا إشارة السالمي لها وتدوينه اياها، وربما يحسن أن نشير بشيء من التفصيل الى مجهوداته في هذه الناحية، أن ننبه على الروح العلمية المنهجية التي كان يتمتع بها السالمي مؤلفاً، وعلى قدر الاستقصاء الذي كان يبذله، على الرغم من قصور بعض أدواته من خلال كف البصر، لكي يطمئن الى الحقيقة التي يود أن يذيعها، وعلى قدر الأمانة العلمية التي كان يحملها إزاء نفسه وقارئه والتي كانت تدفعه الى الاعتراف بالتقصير إن وجد بل والى الابقاء عليه رمزاً لتطور معرفة الانسان، كما أشار في مقدمة شرح بلوغ الأمل وكان قد كتبه في فترة الشباب ثم عاد اليه ليجد فجوات فيقول: « فتداركته بزيادة أبيات كان منها النظم خالياً. وكسوته بشرح هذا المزيد مع الخطبة حللا ، كان ذلك الشرح منها عارياً، ثم أبقيت الأبيات الأولى على ما فيها من خلل، ليكون ذلك على عجزي دليلاً، وليعلم المبتدىء أن العلم، انما ينمو قليلاً قليلاً، وليبين الفرق بين درجة المبتدىء ودرجة المنتهي.

وهو يشير في موضع آخر الى منهج علمي دقيق يتبعه في تحقيق المخطوطات من خلال تجميع النسخ المختلفة والمقابلة بينها حين يقول في مقدمة شرحه للجامع الصحيح مسندالإمام الربيع بن حبيب الفراهيدي «وقد وقع فيه من التحريف من النساخ من غير قصد، فجمعت من نسخه ما أمكن، واخترت من مجموعها ما هو أليق وأحسن، فخرجت من الجميع نسخة أرى أنه أصح من غيرها، ولا أدعي سلامتها على الإطلاق غير أني لم أجد فوقها من مطاق».

ان هذا الكلام وان كان قد ورد في معرض آخر غير الحديث عن الأدب دراسة أم ابداعاً فانه يلقي لنا بعض الضوء على المنهج الذي جمع السالمي من خلاله بعض الأجزاء المتناثرة من تاريخ الأدب العربي في عمان وهي مجهودات تمثلت على نحو خاص في كتابه تحفة الأعيان وهو كتاب يسد ثغرة رئيسية في الكتابة عن الشعراء والأدباء الذين ينتسبون الى عمان وهم لم يخلدوا بقدر كبير من العناية في كتب تاريخ الأدب العربي العام لأسباب جغرافية وسياسية وفكرية ، تعرضنا لها بالتفصيل في دراسات أخرى[1] ، كما لم يحظوا بكتابة مستقلة عنهم من قبل مؤرخين للأدب في عمان، حيث كادت تنعدم المؤلفات في هذا المجال على حين كثرت وتعددت في مجالات أخرى كدراسات الفقه وعلم الكلام، ولكن كتب المؤرخين العمانيين، قبل السالمي بقليل، كانت قد بدأت في تناول بعض أخبار الشعراء والأدباء خلال تعرضها لسرد التاريخ العام في عمان، حدث شيء من هذا في القرن الثاني عشر ، في كتاب «كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة» لسرحان بن سعيد الأزكوي، وفي كتاب آخر في نفس القرن وهو كتاب «قصص وأخبار جرت في عمان» لمحمد بن عامر المعولي، وحدث توسع كبير في هذا المجال مع ابن رزيق في القرن الثالث عشر، عندما جاء في كتابه «الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين» عندما جاء هذا المؤلف التاريخي يحمل مقدمة طويلة عن تاريخ الأزد تعرض خلالها لكثير من الشعراء الذين ينتمون أو تنتمي أصولهم الى هذه القبيلة حتى وإن تفرقت بهم البلاد.

وفي هذا الطريق سار نور الدين السالمي وتوسع، وكان قريب العهد من ابن رزيق، الذي كتب مؤلفه هذا عام ١٢٧٤ هـ أي قبل ميلاد السالمي بنحو أربع عشرة سنة، ولقد نقل السالمي بعض أخباره وتحدث الى من رأوه، كما نقل كذلك عن العوتبي، وعن مصادر تاريخية أخرى، ومن خلال ذلك اعاد تسجيل ما كان شائعاً في هذه المؤلفات من أحداث أدبية ونصوص شعرية تنسب الى التراث العماني كقصة مالك بن فهم

(١) راجع كتابنا ، المدخل لدراسة الأدب في عمان ، دار المعارف ـ القاهرة ، مكتبة الأسرة ـ مسقط، ١٩٩٢.

وما قيل حولها من شعر له أو لأولاده أو معاصريه، وقصة اسلام مازن ابن غضوبة وما يرتبط بها من نصوص شائعة كما يورد كذلك نصوصاً لثابت قطنه من شعراء الصدر الأول، وينقل عن العوتبي قصيدتين طويلتين لابن دريد من بين القصائد القليلة التي سلمت من الضياع من شعره الكثير، ويكاد أن يكون تأريخ السالمي لبعض الأحداث الهامة في التاريخ العماني تاريخاً أدبياً الى جانب كونه تاريخاً عاماً كحديثه عن موقعة القاع وما قيل فيها من شعر، وحديثه عن هجوم محمد بن نور على عمان، وتهديده لأهلها شعراً على لسانه أو لسان كاتبه، ورد ابن دريد عليه.

على ان السالمي كمؤرخ للأدب لا يكتفي بنقل النصوص التي دونتها الكتب السابقة عليه، وانما يمتد به التدوين الى رصد ما تناقله الناس شفاهة، أو تداولوه في مخطوطات محدودة الذيوع ومن هذه الناحية يكاد ينفرد كتابه «تحفة الأعيان» بتقديم نصوص شعرية وأحداث أدبية وأسماء لشعراء ودواوين، كان يمكن أن يطمرها النسيان جميعها لولا أن انتشلتها التحفة من أردية الضياع التي ابتلعت من قبل كثيراً من المؤلفات القيمة، وبعض الدواوين التي يشير اليها السالمي فردية كديوان ابن اسحاق الحضرمي الذي كان يعاصر الإمام الخليل بن شاذان في أوائل القرن الخامس الهجري، وبعضها دواوين جماعية مثل الديوان الذي يذكر انه اطلع عليه وقد تجمعت فيه مدائح الشعراء التي كتبت في الإمام بلعرب بن سلطان.

ويهتم السالمي بشعراء مفردين يعتز بشعرهم ، كالنبهاني، الذي أغفله المؤرخون السابقون عليه شاعراً وإن كانوا قد ذكروه ملكاً، ولكنهم لم يشاءوا الاشادة به لعدم اتفاقهم مع مسلكه في الحكم، غير أن السالمي يفرق بين الأمرين، فيرى أن قصائده تناطح المعلقات السبع بلاغة ويورد نماذج منها ويعتز بها، ويشير بجانبه الى الستالي شاعر النباهنة، ويشير الى أهمية ديوانه في التعريف بدولة النباهنة وحكامهم، وانه يكاد أن يكون المرجع الوحيد في هذا الصدد.

وكما اهتم السالمي بشعراء النباهنة ، وقف كذلك أمام شعراء اليعاربة وعلى نحو خاص أمام «الحبسي» شاعرهم الضرير، وأورد نماذج مطولة من بعض قصائده، وأعجب على نحو خاص بقصيدته «الخيلية» التي تصور بعض المواقع المشرفة والتي انتصر فيها اليعاربة على البرتغاليين، ويمتد اهتمامه الى ما يقال من شعر في شرق افريقيا في الفرح بهذه الانتصارات والاشادة بها.

ويكاد يمتد اهتمامه الى أشعار العامة، التي تشيع عادة مجهولة المؤلف متوسطة المستوى، تقترب من لغة الحياة اليومية، أكثر من اقترابها من لغة الصناعة الشعرية، ومنها قصائد يكتبها أهل منطقة الباطنة في الترحيب بالإمام محمد بن غسان وديوان كامل مجهول المؤلف، أومتعدد المؤلفين في مدح بلعرب بن سلطان وقصيدة مجهولة المؤلف لحادثة غريبة وقعت في نزوى في القرن الثاني عشر الهجري في عهد الإمام سيف بن سلطان اليعربي.

وعلى هذا النحو يكمل السالمي جانباً هاماً من جهوده في خدمة الأدب في عمان، مؤرخاً للأدب، بعد أن ساهم من خلال كونه أديباً شاعراً وخطيباً وكاتباً ومؤلفاً، في نشر دعوته الإصلاحية في أرجاء الأمة، وسلك بذلك كله طريق كبار المصلحين الدينيين في العالم الإسلامي في القرن التاسع عشر والقرن العشرين، واستحق أن يكون واحداً من أوسطهم، وأن يسجل لنفسه ولبلده ولفكره وأدبه مكاناً مرموقاً في التراث العربي والإسلامي سيذكره الناس ماذكر المفكرون الجادون والزعماء المحققون، والعلماء العاملون، والأدباء النابهون رحم الله السالمي وأفادنا جميعاً من علمه وعلم رفاقه.

الجوانب التربوية والتعليمية في مؤلفات السالمي

إعداد / أحمد بن سليمان الكندي

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الرسول الأمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فقد أخذت التربية قسطاً وافراً من العناية في الإسلام وشغلت مساحات واسعة من القرآن الكريم والسنة المطهرة، كما عني بها الأئمة والعلماء لما لها من أهمية قصوى باعتبارها الوسيلة المثلى التي لو أحسن اختيار طرقها وأساليبها لحققت الغايات التي ترجى من بناء الفرد الذي يكون بدوره لبنة صالحة في البناء المتكامل وعندئذ تتحقق الغايات الكبرى من هذا الوجود حيث يكون الإنسان قادراً على الاضطلاع برسالته في الحياة، مدركاً للهدف الذي من أجله وجد مستشعراً حجم المسئولية الملقاة على عاتقه، مهيأ لأداء وظيفته بعد أن اجتاز مراحل الإعداد العلمية منها والعملية مستلهماً منهجه في حياته من مبادىء دينه الحنيف، متمثلاً في سلوكه بالمثل الأعلى سيد الخلق ومعلم البشرية محمد صلى الله عليه وسلم.

ومهمة المربين عظيمة لم يستطع الاضطلاع بها الا من استشعر عظمتها وأدرك خطورتها فنذر نفسه لها.

لهذا نجد أن المبرزين في التربية قليلون في كل جيل وتحقيق غايات التربية انما هو تحقيق لأهداف الدعوة التي جاء بها الرسول ﷺ اذ لايمكن تحقيق دعوة الإسلام مالم يهيأ لها أفراد المجتمع لتقبلها، وليس من الممكن فعل ذلك الا باتباع أنجح الأساليب التربوية.

التربية في التاريخ العماني:

هـذا وتفخـر عمان بالعـديـد من المدارس العلميـة المبنيـة على أفضل الأسس فمنـذ عهد التـابعين وحتى الآن توالت على مـر التاريخ معـالم حضارية في هـذا المجال وناهيك بمدرسة الإمام جـابر بن زيد رضي الله عنه التي أرسـى دعائمها على أسس منهجيـة عليا طـورها بعـده الإمام أبوعبيدة الكبير مسلم بن أبي كريمة الذي وضع تنظيمات لم يسبق اليها في تكوين الرجال واعدادهم، وحفلت مدرسته بالنشاط المتميز حيث وفد اليهـا طلبة العلم من مختلف أقطـار الأرض، وبأولئك الأفـراد تمكن من نشر العلم والـدين في عدد من الأقطـار وهكذا توالـت المدارس العلمية في عمان ويمكننا أن نستعرض أسماء ـــ مجرد أسماء ـ بينهم فترات زمنية متفاوتة إلا أنهم يعتبرون منارات للعلم وعـلامات بارزة في تاريخ عمان الحافل بالأمجاد، فـالربيع بن حبيب وموسى بن أبي جابـر ومحمد بن بـركة وخميس بن سعيـد الشقصي ثم سعيد بن خلفـان الخليلي وأخيراً الإمام نـور الدين عبدالله بن حميـد السالمي رموز تتوالى تصنع الـرجال وتنشىء الأجيال، برزوا في فترات متباعدة وجاءوا ـ في الغالب ـ في زمن يكون فيه الناس بحاجة ماسة اليهم، فيعدهم القدر لاشعال جذوة الفكر فيغيروا مسار التـاريخ، ويحولوا مجرى الأحـداث ويأخذوا بأيـدي أهل زمـانهم في وسط ذلك الظـلام الدامـس يقودونهم الى الطـريق الـواضح آلمعالم الذي اهتـدوا اليه بفضل الله تعالى، وهو طـريق يمكن سلوكه لكل من وفقه الله، وتوفيق الله مرهون بالتوجه الصادق اليه تعالى.

الإمام نور الدين السالمي تربويا:

هـذا ونحن نتحدث عن الإمـام نـور الدين السـالمي وفكره التربـوي لاأجـدني في حاجـة الى الحديث عن شخصـه فهو لم يعـد في حاجـة الى التعريف، ولكن من باب الاعتراف بالجميل لأهله أن نـذكر للإمام فضله في مجال التربية، ... التربيـة بمفهومهـا الواسـع، فهو قـد كرس حيـاته

ووقفها، ونذر نفسه لهذه الرسالة العظمى، واضطلع بها وحمل أمانتها مستشعراً عظمتها متحملاً مسؤوليتها فبعد أن اتجه الى الله في طلب العلم وأوتي منه النصيب الوافر أخذ في أداء ما عليه من الواجب تجاه أمته فجمع بين تجديد المناهج العلمية، واتباع الأساليب المناسبة واستخدام الوسائل المتاحة، وحرص على التطبيق العملي لما يدعو اليه، ووفق أيما توفيق في تحقيق الأهداف التي كان يسعى اليها طول حياته.

واذا كان حديثنا عن الجانب التربوي لدى الإمام نور الدين السالمي فان هذا الجانب يعتبر أهم الجوانب في حياته حيث انه رحمه الله كرس حياته للتربية علمياً وعملياً .. أما علمياً فان مؤلفاته في مجملها تمثل منهجاً تربوياً متكاملاً يتدرج فيه بالدارس من أدنى مستوياته ليصل الى مرحلة التخصص العليا، وفي ذلك تتجلى مقدرة الإمام العلمية وبراعته التأليفية حيث يجسد في مؤلفاته تلك الأساليب التربوية التي ينادي بها علماء التربية ، اذ تجد أن أسلوبه العلمي في التأليف يدل على وعي بالغ بالمنهج التربوي، فهو مؤلف لكل مرحلة ما يناسبها من الكتب، ويخاطب كل طبقة باللغة التي تفهمها، ويعطي لكل طالب ما يناسبه من المعارف ويتدرج به شيئا فشيئاً حتى يرتقي به الى المراتب العليا.

منهجه التأليفي الفريد:

وهذا شأنه في الجانبين النثري والنظمي، ففي النظمي نجد كتابه «مدارج الكمال» مختصراً واضحاً سهلاً، ثم نجد «جوهر النظام» أكثر شمولية واتساعاً، وحتى في الجوهر تجده يتفاوت في باب وباب فهو في الأبواب الموجهة للمتخصصين في الفقه يستخدم المصطلحات الأصولية ويستعرض الأقوال ويمحص الآراء، ولكنه يخفف الأسلوب في الأبواب الفقهية ذات الطبع العام أي التي تخدم السواد الأعظم من الناس ليكون بامكان العامة فهم ما يقصده، بل انه يحاول في كثير من الأحيان استخدام اللغة العربية الدارجة المتعارف عليها.

ولكن أسلوبه التربوي يبرز بشكل واضح في الجانب النثري فهو يكثر من التأليف في هـذا الجانب بل أنـه ينهج ولأول مـرة تقـريبـاً ، الى التخصص حيث طرق باب التأليف في موضوعات لم يسبق اليها من قبل أهل عمان كما هو الحال في شرحه للجامع الصحيـح مسند الإمام الربيع ابن حبيب ـ رحمه الله ـ ، فعلم الحديث كجانـب متخصص لم يعـن به العمانيون بل ضمنـوه مؤلفـاتهم الموسوعية الشـاملة وقـد برع الشيخ السالمي في هـذا الكتاب وأجاد ممـا أثار اعجاب شيـوخه به قبل أقـرانه حتى ان أحد شيوخه وهو الشيخ مـاجد بن خميس العبري قام بتدريس الكتاب في حلقاتـه العلمية وكذلك الحال بالنسبـة لتحفة الأعيان حيث ان علماء عمان غالبـاً ما يتعرضون لسير أئمتهم في ثنـايا كتبهم الكبيرة ولا يفردون للسيرة والتاريخ كتبـاً خاصة الا في النادر، وجـاء كتاب «تحفة الأعيان» مرجعـاً وحيداً لكثير من الباحثين المعنيين بالتـاريخ وألف كذلك كتباً في اللغة وعلومها بل انه حتى في الموضـوعات الدينية كأصول الدين والفقه وأصوله يأخذ في تأليف كتب خـاصة لكل فن من هذه الفنون بل يذهب الى أبعد من ذلك حيث يتدرج بطريقة علمية تربوية في الفن الواحد كما هو الحال في منظومته أنوار العقول في أصول الدين فيشرحها شرحاً مبسطـاً في كتـابه «بهجـة أنـوار العقـول» بحيث يصلح لطلبـة العلم في المراحل التأسيسية ثم يشرحها شرحـاً مفصلاً واسعاً ذا تحقيق وتدقيق في كتـابه «مشـارق أنـوار العقـول» ليكون في مستـوى الـدارسين لهذا التخصص وفي الفقـه يـؤلف تلقين الصبيـان للمبتـدئين ويتـدرج بـه في «مدارج الكمال» ثم جـوهر النظام ويتـوج تآليفه الفقهية بكتـابه الشـهير «طلعة الشمس» في أصول الفقه.

موضوعات تربويه هادفة :

هذا ويفرد الإمـام نور الدين السالمي أبوابـاً وفصولاً للتربية ولاأعني بذلك أنه يضـع مفاهيم أو نظريات تربوية، بل انه يعطي دروساً في تربية

النفس البشرية المسلمة خاصة، والمتأمل في هذ الموضوعات يجد انها تستند على أسس تربوية عميقة، وعلى سبيل المثال خاتمة كتاب مدارج الكمال حيث يبرهن عن معرفته الواسعة والدقيقة. وتعمقه بعلوم النفس البشرية فيشخص فيها كثيراً من الأمراض ويعرض لها الوقاية والعلاج ومن هذه الخاتمة:

حق على من ألهم الله الحكم ... أن يبسط الشكر لمن أولى النعم
وأن يكون قائماً بما يجب ... مسارعاً لما اليه قد ندب
منتهياً عن فعل ما نهاه ... عن ارتكاب فعله مولاه
قد أخذ الجانب عن حمى الريب ... فلا يحوم حوله ولا كرب
سمت به همته فلا يرى ... إلا المعالي مكسباً ومتجراً
فأيقظ العزم وأوقد الفطن ... وعاد والشمس جميعاً في قرن

ويقول فيها :

ثم توخى أفضل الأصحاب ... من ارتدى بالفضل والآداب
يكتم سرهُ وينصحن له ... ويحملن معه ما أثقله
ويستشيره اذا ما نابا ... أمر ويصغي حين ما أجابا
ونقل الآراء بالتأمل ... ومزج العجلة بالتمهل
وبادر الخيرات بالتعجل ... وان يكن شر فلا تستعجل
حتى ترى ضرره ونفعه ... وتعرفن أصله وفرعه
وقسم الأوقات في معاده ... وفي معاشه وفي رقاده
أما الرقاد فهو صدر ليله ... وساعة في الصيف من مقيله
وفي المعاش ما لابد منه ... ويترك الذي تغانى عنه
فانه ما قل منه وكفى ... خير من الملهي الكثير فاعرفا
وان في قليله حسابا ... وفي الكثير المشغل العتابا

ويجمـــلن في طـلاب الـرزق ... فـربنـــا ضمين هـــذا الخلق
وللمعـــاد طـرق موصـــــلة ... فـالـزم طـريقـه الى أن تصلـه
وحبـــذا اذا جمعت الكـــلا ... ونلـــت مـن أقـداحـــه المعـــلى

ويقول فيها أيضاً:

وفـــرغ البـــال ليقنص الحكم ... حتى غدا في العلـم راسخ القدم
وطهـــر القلـب وأخلص العمل ... راقـــب النفـس وقصر الأمـــل
ووزن الـذي عليـــه قـد عنـــا ... وقصـــد الحق المنير البينـــا
وتـــرك الـذي عليـــه التبســـا ... وعـاتب النفس اذا ما قـد أسى
فـان أبت عـاقبهـــا بـالصـوم ... وتـــرك مـا تهواه مثل النـــوم
وطلب العـــون على تـذليلهـــا ... فـــانما الهلاك في تجليلهـــا
كم سبع أخبتـــه في أرجـائهـــا ... عجب وكبر حسـد ريـــائهـــا
فهـــذه الأربـع رأس الشـــر ... ومنبع الآفـــات والتجـــري
فـالعجب أن يستعظمن النعما ... وينسين مـن بها قـــد أنعما
والكبر أن يغمط هـــذا الخلقـــا ... مـــزدريـــاً ويـــدرأنّ الحقـــا
ومن تمنـى أن تـــزول النعم ... عن غـــيره فحسـد محـــرم
ومن تمنى مثلهـــا فـلا حـــرج ... وذاك بالغبطـة يدعـى اذ خرج
أمـــا الريـــاء فهي أن يعمل لا ... لله لكـــن ليحبـــه المـــلا
فهـو يـراعي حبهم ان حضروا ... وود أن يظهـــر ان لم يحضروا
قـــد خسرت تجارة الجميع ... اذ هـدمـوا الأعمال بـالتضييع
وحـــرمـــوا حـــلاوة الإيمان ... فلم يف المزيـد بـــالنقصـــان
فـاجعل هـــداك الله كل البشر ... ان شئت أن تسلم مثل الحجـر
وأعلـم بـأن الله مسبـل النعـم ... فالعجب لامعنى له سوى النقم
وأنـه ليـس يـزيلهـــا الحسـد ... وان يمت صـاحبـــه من الكبـد
وأنظـر الى أصلك تعرف قـدرك ... وتـــدر أن الكبريـــاء لغيرك
وان هـذا النـــاس أيضـا مثلك ... لايملكـــون نفعهـــم وضـــرك
فـاعـــدد لما عملتـه جـــوابـــاً ... فأنت لابـد تـرى خطـابـا
وحـاسبنهـــا قبل أن تحاسبـا ... وكن الى الله تعـــالى راغبـــاً

وفي كتابه القيم «جوهر النظام» يفرد أبواباً لهذا الغرض .. كما للتوبة والآداب بل ان الجزء الرابع من الجوهر يكاد أن يكون مخصصاً بكامله لهذه الأغراض التربوية.

التربية العملية عند الإمام:

وللإمام نور الدين السالمي جانب عملي في تطبيقه للمفاهيم التربوية عملياً ليس في نفسه فحسب فهذا أمر مفروغ منه، ولكنه قام ـ رحمه الله ـ باعداد جيل من الرجال رباهم على يديه منذ نعومة أظفارهم حتى وصلوا الى درجة الاجتهاد في الدين من أبرزهم الإمام الجليل أبو خليل محمد بن عبدالله الخليلي ـــ رضي الله عنه ـ ، والإمام الرضي سالم بن راشد الخروصي، والشيخ العلامة عيسى بن صالح الحارثي، والعلامة الكبير أبو زيد عبدالله بن محمد الريامي وغيرهم كثير، وله مع هؤلاء مواقف يتناقلها الرواة تدل على مقدرته على التربية بكل حكمة وابداع، الأمر الذي هيأهم للاضطلاع بأعلى المسؤوليات.

خاتمـــــة:

بناء على ما تقدم يتضح أن الإمام نور الدين السالمي رجل فكر وتربية من الدرجة الأولى فهو المؤلف والمبدع والمربي الناجح، وعليه فلا غرو ان قلنا ان الفضل يعود اليه في وجود فقهاء عمانيين الآن بل ان طلاب العلوم الإسلامية بمختلف مراحلهم الأكاديمية هم تلاميذه، لأنهم ينهلون من علمه من خلال مؤلفاته التي أصبحت مقررات ومراجع في كلية التربية والعلوم الإسلامية، والمعاهد الإسلامية العليا في السلطنة.

رحم الله الإمام نور الدين السالمي ورضي الله عنه وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

القراءة الثامنة :

اطلالة على شعر
« نور الدين السالمي »

إعداد / سالم بن علي بن سالم الكلباني

إنه لأمر غير عادي أن يكون الشيخ الضرير عبد الله بن حميد السالمي علماً بارزاً من أعلام الفقه والشريعة في زمن طمس فيه الجهل على بصائر آلاف المبصرين وأن يكون علماً من أعلام الحل والعقد في زمن كان الآلاف من الأصحاء الأسوياء الأقوياء لايجدون لهم موطىء قدم في معركة التنافس الشرس على الهيمنة والتسلط بشتى ذرائع هذا التنافس ومبرراته.

ولقد تمنيت أن يدور حديثي عن هذا العلم البارز حول جانب غير الشعر من جوانب شخصيته المتميزة التي فرضت على المجتمع أن يحترمها كل الإحترم وأن يقدرها كل التقدير. إلا أن انتسابي إلى جماعة الشعر والشعراء هو الذي دفعني الى تناول هذا الجانب الذي كنت ولا أزال أرى أنه أقل جوانب هذه الشخصية بروزاً اذا ما قيست بعبقريتها الفذة التي تتجلى في كثير من المعارف الأخرى.

لقد كان الحصول على مصادر شعر الشيخ ليس بالسهولة المتوخاة وخاصة ما يتناول من الشعر المعنى البديع واللفظ السهل والأسلوب الجميل. وقد وفقني الله في الحصول على عدد من قصائده تنصب مُعظمها في معظمها في مجالين أو ثلاثة مجالات لاتكاد تعدوها إلا نادراً، وكثير من هذه القصائد يحتوي على رثاء لأشخاص معينين يلوح لي أنه كان لهم أثر كبير في حياة الشيخ ومنهجه فمدحهم أحياء ورثاهم أمواتاً وهكذا عرفنا أوفياء الرجال.

لقد كانت حياة السالمي ملأى بالأحداث الجسام التي كان كل منها يحدث لديه أثراً نفسياً بالغاً أو هزة عصبية عنيفة فكان لكل فعل تفعله هذه الأحداث ردة فعل لدى شعوره المتحفز الذي لم يكن من السهل عليه أن يتقبل كل شيء على علاته. وربما كان المجتمع الذي عايشه لايفي بجميع آماله الطامحة نحو حياة قويمة مهما كانت الظروف والأسباب الأمر الذي بعث فيه احساساً حفزه في الكثير من قصائده الى شحذ الهمم واستنهاض أبناء الأمة ولهذا السبب نعزو انشاء معظم قصائده التي نحن بصدد الحديث عنها إذ إنك قلما تقرأ له قصيدة إلا واجهك لوم البعض لتقصيرهم ونكولهم عما يرى الشيخ أنه واجب عليهم لايمكن التفريط فيه بأي حال من الأحوال حتى يبلغ به الأمر مبلغاً يقول فيه وبمرارة:

إن للغايات كلا ينتهي هل لحال العجز منا منتهى

لقد عاش السالمي في عصر تزاحم فيه الفحول من العلماء والشعراء على امتلاك ناصية البلاغة فنبغ منهم ولمع العشرات من أرباب البيان وفطاحل العلم الذين لايتسع مجال حديثنا هنا لذكرهم جميعاً واذا جاز لنا أن نختص منهم قلة قليلة ممن كان للشعر نصيب من عبقرياتهم الفذة فان ممن عاصره ابن عمه الشاعر محمد بن شيخان السالمي والعلامة محمد بن سالم بن زاهر الرقيشي والعلامة سيف بن حمد الأغبري، والشيخ عبدالله بن سعيد بن خلفان الخليلي. وأبو سلام سليمان بن سعيد بن ناصر الكندي وأبو وسيم خميس بن سليم الأزكوي وأبو صخر سيف بن يعرب بن قحطان البوسعيدي. وأبو مسلم البهلاني الرواحي الذي رثى السالمي بأشعار قال في بعضها:

ما فقدناك وعرفانك في صفحات الكون ضوء يشتعل
إن رب العلم حي خالد ولو أن الذات بالموت انتقل
ماتركت الكون حتى تركت خطة الحمد لك الحمد الجلل

هـؤلاء قلة من كثـرة العلماء الـذين عاصروه ممن كـانـوا يقرضـون الشعر عـدا العلماء الفطاحل الـذين لم يكن لهم احتفـال بالقريـض وقد أوردنا هذه الأسماء للدلالة على أنه لم يكتسب شهرته وذيوع صيته من فـراغ بل اكتسب هـذه الشهرة بما وهبـه الله من همة عـالية أهلتـه لأن يكون العـالم الضليع بتحمل مسئـوليته العلميـة الجليلة. لقد عـرف عن البعض من الشعراء وكما قال فيهـم رب العزة أنهم (في كل واد يهيمون وأنهم يقولون مـا لا يفعلون) بيد أننا وغير جاحـدين لقول الله عز وجل نرى أن الشيخ ليس من الفئة الموسومـة بهذه السمة بل هو والعلم عند الله من الذين آمنوا وعملـوا الصالحات ذلك لأن معظم قصائده التى بين أيدينـا تعدو كونها حثاً على فضيلـة أو نهياً عن رذيلة لما فطـر عليه من الاستقامة والتمسك بمكارم الأخلاق، فلنستمع اليه قائلا :

أبـت إلا المروءات الأبيـــــة نفـوس لاتقـر على الـدنيـه
علت شرفـاً وفلت كـل خطب بأحســـاب وهمات عليـــه
وقـابلت المصـائب بـاحتسـاب فخفف صبرهـا ثقل الـرزيـه

هذا هو أسلوبه ومنهجه. ولئن كان الشاعر العربي الكبير ابن الرومي في نوبة من نوبات نقمته وسخطه قد شط على الشعراء فقال متهما اياهم بالتزييف والدجل:

يقـولـون ما لايفعلـون مسبـة من الله مسبـوب بها الشعـراء
وما ذاك فيهم وحـده بل زيادة يقـولـون مـا لا يفعل الأمـراء

فـان أمراً مثل هـذا حـاشاه أن ينـدرج على السـالمي حيث اننا نجلـه ونكبره عن أن يكون مـديحه ستجداء أو تملقـاً وانما هو رد للجميل من ناحية أولى، ومن نـاحية أخرى محاولة منه لاستقطاب القـوى الفاعلة في المجتمع لكي تتعاون معه على تقويـم السلوك لدى من يعتقد الشيخ انهم بحاجة الى تقويم ، يبرر هذا الرأي قوله:

خفف العـذل عـن محب تصـامم ... ان بـدا حـادث عظيم تعـاظم
ولـه في الـوغـى طـرائق صـدق ... قـام ان قـامت الحروب وصـادم
ولـه في العـلا منـازل حـق ... شيـدت ركنهـا القنـا والصـوارم
ولـه في الـورى نصـائح ود ... ود أن لايكـون في النـاس ظـالم
ولـه في النـدى سحـائب عـرف ... تمطـر الجود للـورى والمغـانم
ولـه في العـدا صـواعق حتف ... تمحق الكفـر منهم والمظـالم
وتقي القـوم نفسـه كل سـوء ... ويـرى أن ذاك في المجـد لازم
نطقـت سـيرة الأوائـل طـراً ... عن طـريق العـلا لمن كـان قـائم
لم أجـد للعـلا طـريقـاً قـريبـاً ... مثل طعن اللهى وحـز الغـلاصم
قـد تفكـرت في عـواقب أمـري ... فـرأيت النجـا ارتكـاب العظـائم
كيف يرجو الحسـان في الخلد قوم ... ألفـوا الـذل بين غيـد نـواعم
تـركـوا الـدين دارسـاً والمعـالي ... عـاطـلات وضيعـوا كل لازم

الى أن يصل هدفه المنشود الإفصاح عنه فيفصح قائلاً:

أنا عبد أحـرض الناس والله تعالى ... أرجـو لحسن الخـواتم

هكذا يـوضح لنا غـايته التي يحرض النـاس عليها تحريضـاً مباشراً لايعرف التلميح أو الرمز أو التوريـة وذلك هو ما تقتضيه بيئة المجتمع الذي تـربى فيه وعايشه هـو مجتمع عربي قح تستثير الدعـوة المباشرة حميته وتلهب مشـاعره، ونـراه أحيانـاً وقد ألزم نفسـه ببعض المواقف التي لايرى محيداً عنهـا ومن ذلك قوله مدافعاً عن مـوقفه مبرراً وجهة نظره:

يـدعونني للعجـز عن طلب العـلا ... ودعـوتهم للمجـد والعليـاء
بـالأمس كـانـوا خلتي فأغـاظهم ... طلب الهدى فـاذا بهم أعـدائي
ولقـد عهـدتهم ذوو ود فـلم ... أشـعر بهـم إلا وهـم خصمـائي
الحق بـاعـد بيننـا فـأحلني ... في عـزة وأحلهـم ببـلاء

قالوا شديد طبعه ذو غلظة فأجبتهم لكن على السفهاء
وقد خفضت جناح ذل للذي أضحى أخا تقوى ورب وفاء
أما العصاة فانهم ما شاهدوا مني سوى الإعراض والبغضاء

لقد قرأنا حوالي ٢٨ قصيدة متوسطة الطول تدور في معظمها حول محور واحد هو الدعوة الى الله . ومن هذا المحور تتشعب عدة شعب منها شكوى الزمان وأهله وانكار حالة التهاون التي يراها تسود المجتمع. والزهد في الدنيا وزخرفها الباطل في سبيل الآخرة التي اليها المعاد. ورثاؤه للصالحين من حوله ممن يرى أنهم الأسوة الحسنة لمن يريد أن ينهج بنفسه طريق الرشاد والاستقامة، وقد استأثر هذا الرثاء بربع تلك القصائد تقريباً. على أنه لايأتي الا مصحوباً بعبارات المدح والتمجيد وصيحات الندب والتحريض وما الى ذلك مما كانت الظروف تقتضيه آنذاك. وهذا نموذج من رثائه في قصيدة افتتحها بابداء الرأي فيما ينبغي أن تسير عليه الحياة حتى يتحقق وجود المدينة الفاضلة التي ينادي بها:

إن جاء نصر الله والفتح وبطل التدليس والشطح

وهو في مرثيته يأخذ في ذكر مناقب المرثي كما هو الحال في الشعر العربي القديم الا إنك لاتجده يطيل في شرح تفاصيل الذكريات التي يتذكرها مع فقيده حينما كانا يتصاحبان في الحياة حتى ولو كان هذا الفقيد من أقرب الأقربين اليه. وبهذا يخسر القارىء فائدة التأمل لرسم صورة لواقع الحياة والناس في ذلك العصر وهذه الخسارة تجعله غير مكتف بما قدم اليه في عجالة من خطوط عامة كانت مألوفة ومتداولة بين الشعراء العاديين ولقد تمنينا لو أن الشيخ أوفى هذا الجانب حقه لكي يجعل المتلقي يعيش معه أجواء الحادثة من خلال وقوفه على الوقائع السابقة واللاحقة بواسطة الصياغة الفنية المتقنة.

ويقول السالمي من قصيدة تبلغ ستين بيتاً رثى بها جملة من أحبائه ثم ختمها برثاء أبيه في المقطع الأخير:

لهفي على شيخ نشأت ... بحجره زين الصنائع
رحب الجميل مهذب ... حسن الشمائل والطبائع
طلق المحيا في الشدائد ... صدره في الضيق واسع
يا طالما أسدى عليّ ... من الجمائل والمنافع
كم قد أضر بنفسه ... ليكون لي واق ومانع
كم حرمت عيناه طعم ... الغمض والمغرور هاجع
قد كان بالأولاد برا ... شاكراً لو كنت قاطع
فنعي الي وليتني ... ماكنت ذاك النعي سامع
أبتاه اني كنت في اللقيا ... قبيل الموت طامع
فنأى بك الأجل المقدر ... في بعيدات المواضع
قضت المنية والرضا ... بقضائها أن لست راجع
جاورت بيت الله لما ... صرت عنه غير شاسع
في جدة جاورت حوا ... والمهيمن خير جامع

إنه رثاء صادق مؤثر لايستطيع أن يلصق به تهمة التمحل والتلفيق غير أن طبيعة السالمي ومذهبه ليسا طيعين بالقدر الذي يتيح له المبالغة في الرقة الى حد أبعد من هذا كقول الشاعر:

كأني أراه كلما جئت نحوه ... بعين ضميري قائماً يتلقاني
يكاد اذا مازرته أن يضمني ... ويمسكني عند الوداع بأرداني

ذلك انه اتخذ من التحدي مذهباً في تعامله مع الأحداث على اختلافها وهذا التحدي انعكس بدوره على انتاجه الشعري بما فيه الرثاء ولسنا نحب لحديثنا هذا ، الإيغال في ايجاد الأسباب والمسببات فنقيس نفسية شاعرنا بمقياس الفلاسفة وعلماء النفس ثم نستخلص من هذا القياس

المؤثرات الخارجية والداخلية التي أثرت في حياته.

والسالمي يشعرك في كل بيت ينظمه أنه مؤمن صادق الإيمان راسخ العقيدة لايبتغي لوجود الله دليلاً ولا يشترط على الأنبياء شاهداً أو كفيلاً فدليله فطرته وعقله وشاهده يكمن في شاهد أبي العتاهية الذي يقول:

فيا عجباً كيف يعصي الإله ... أو كيف يجحده جاحد
وفي كل شيء له آية ... تدل على انه واحد

والسالمي ذو الطبيعة المتحمسة المتحفزة وهو الذي يقول:

أرى الأيام لي حرباً ... ودهري كله صعباً
أدانيه فما يزداد ... مني أبداً قرباً
ألاينه ليذعن بالمراد ... فينثني وثباً
أجاذبه وقيت علاً ... فيتعب قوتي جذباً

نماذج من معانيه واقتباساته :

وهناك ظاهرة شعرية في السالمي تسترعي الانتباه فهو ينظم شعره حسبما تقتضي الحاجة الآنية دون أن يوغل في طلب المعاني الغريبة والألفاظ المنتقاة، ذلك انه يوجه مقالا عفوياً خالياً من الاغراب والتأنق بيد انه وكما هي الحال لدى معظم الشعراء خاصة الحماسيون منهم لم يستطع الإفلات والتحرر من هيمنة شعراء هذا الباب أمثال عنترة والمتنبي وأبي تمام ومن شابههم ولقد بدا واضحاً تأثر الشيخ بعنترة وتبنيه للمواقف البطولية التي يدعو اليها لاسيما قول عنترة:

لا تسقني ماء الحياة بذلة ... بل فاسقني بالعز كأس الحنظل
سكنى الجنان بذلة كجهنم ... وجهنم بالعز أطيب منزل

اقتبسه الشيخ في عدة مواضع منها قوله:

لعمْـرك إن العـز في طلب العـلا وان تك نـاشتك العـدا بـالمخـالب
ولا خير في عيش مشـاب بـذلـة وان يك في روض الجنان الأطـايب

وفي هذه القصيـدة أيضاً يلـوح الشاعـر زهير بن أبي سلمى بأبيـاته التي تبدأ بمن ومن. وقد لاتفوت السالمي فرصة وجود بيت من مثل:

عليّ طـلاب المجـد من مستقـره ولا ذنب لي ان عـارضتني المقـادر

لقد وافق هذا البيـت هوى في نفس الشيخ فاعتقده في شعـره وصاغه صياغة فقهية كانت صبغة الشريعـة والأحكام واضحة فيها حيث جاءت هكذا:

إذا المرء لم يـرضى بـذل معيشـة وقـام الى العليـا ولم يسعـد الجد
فقـد صـار ذا مجد كـريـم وذا عـلا وما فوق وسع النفس لم يلزم العبد

وهذه اشارة الى قوله تعالى ﴿ لايكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾ ثم عاد ليؤكد نفس المعنى في بيت مستقل هو:

ومن كان ذا عـزم وبأس وسطوة وقـام ولم يرزق عـلا فله الحمـد

بيـد أن شاعـراً معاصراً هـو عمر أبـو ريشه الـذي جاء بعـد الشيخ السالمي فتناول المعنى بصياغة فنيـة جديدة حيث قال مثنياً على المواقف البطولية:

شرف الـوثبـة أن تـرضي العـلا غلـب الـــــواثـب أم لم يغلـب

أما قصيدة الإمام راشد بن سعيد اليحمدي التي مطلعها:

لمن منـزل قفـر تعفت جـوانبـه وغيره من سـافح القطـر ساكبـه

والتي منها:

ولا خير في خير تـرى الشر بعـده ولا في أخ دبت اليـك عقـاربـه
ولا عيش الا أسمـر اللـون عـاسل وأشقـر في يـوم عبـوس تـلاعبـه

هذه القصيدة يبدو أنها أعجبت الشيخ وتأثر بها فنظم على منوالها قصيدة مشابهة ضمنها بيتين من هذه القصيدة طوعهما لكي يعربا عما أراد الإعراب عنه فأصبحا هكذا:

ولا تتبع قول امرىء كل همه غداء يغدى أو كعوب تلاعبه
فيصبح في ضيم ويمسي بذلة مخافة أن تنأى عليه حبائبه

وأحب هنا أن أنوه بمقطع من القصيدة هو قول الإمام راشد فيها:

ذريني وخلقي يا ابنة القوم إنني رأيت الأذى حربا لمن لا يحاربه
على أنني إما فتى ضمه الثرى وإما فتى حلت بقوم كتائبه
وإما فتى يقضي عليه حمامه وإما فتى تقض الحمام قواضبه
وإما فتى أبكى عيون عداته وإما فتى تبكي عليه أقاربه

هذا المعنى بذاته أوجزه الشاعر عبد الرحيم محمود إيجازاً بليغاً وأبدعه ابداعاً جميلاً وزاد عليه زيادة رائعة في بيتيه الشهيرين:

سأحمل روحي على راحتي وألقي بها في مهاوي الردى
فإما حياة تسر الصديق وإما ممات يغيظ العدا

ولا أظن أن الشاعر عبد الرحيم محمود قد وقف على القصيدة المذكورة ليقتبس منها وانما هو توارد خواطر.

نعود الى الشيخ والحديث عن أشعاره لنسجل ملاحظة ملفتة للنظر وهو أننا في جميع ما قرأناه من قصائده التي تحدثنا عنها لم نعثر له على عبارة أو إشارة تدل على أنه فاقد للبصر كالشكوى أو التحسر أو التبرم كما يفعله غيره ولا نشك في أنه محتسب في ذلك الأجر والثواب من الله مطبقاً ما جاء في القرآن الكريم على لسان يعقوب عليه السلام.

﴿ إنما أشكو بثي وحزني لله ﴾ صدق الله العظيم، ونود قبل ختام الحديث أن نورد له هذه المقطوعة التي يتضرع فيها الى الله تعالى حاذين

حذوه في الدعاء والتبتل اليه عـز وجل أن يجنبنا وإياكم كل شر في الدنيا والآخرة.

يـــا آخـــذا بالنواصـــي أدرك غـــريق المعـــاصي
وامنـــن عليـــه بلطـــف يفـــضي بـــه لخـــلاصي
واغفـــر لـــه كل ذنـــب يخشـــاه يـــوم القصـــاص
وامنـــن عليـــه بفضـــل ومقعـــد غير قـــاص
يـــا واهـــب الفضـــل جـــزه لطـــائع ولعـــاص
إن لم تـــدارك بلطـــف فليـــس لي مـن منـــاص
أيـن الهـــروب ومـــا مـن قضـــاك تحمـــي الصيـــاصي

القراءة التاسعة :

السـالمي مؤرخـاً

إعداد / حمدون بن سليمان بن سالم السالمي

مقـدمة:

إن علم التاريخ من العلوم المهمة التي لا تقل أهمية عن العلوم الأخرى، فالتاريخ يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم والملوك في دولهم وسياساتهم، وهو الترجمان المعبر عن سالف الأمم والدول.

وتأتى أهمية علم التاريخ بارتباطه بالقرآن الكريم حيث يسرد القرآن الكريم كثيراً من قصص الأمم الماضية ، وقد جاء في الحديث الشريف «القرآن حبل الله المتين فيه خبر ما قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم» فحين يذكر القرآن العزيز خبر ما قبلنا ونبأ ما بعدنا هذا هو في حد ذاته التاريخ. الذى يعتبر نافذة تطل منها الأمم الحاضرة على طريقة الأجيال الماضية فهو المعبر عما سلف من عز وشرف وفضيلة، وانتصار وهزيمة وفتوحات وحروب، فهذا سجل حافل بالماضي بما فيه من سمين وغث وانتشار لمبادىء وانحسار لأخرى وقيام لدول وسقوط لثانية. ويضاف الى أهمية التاريخ في انه سجل زاخر بالسير الحميدة والأخبار الفريدة، فيفتح للباحث والقارىء أبواباً جمة للاقتداء والاهتداء واتباع من سبقه من الصالحين الأخيار.

وهو بذلك له أقطابه ورواده وفطاحلته وكتابه، وسوف أتناول في هذا البحث أحد أقطاب تاريخ عمان.

[لقد أدرك نور الدين السالمي أهمية التاريخ فأعطاه قسطاً وافراً من وقته وجهده وفكره، فمحص ودقق واستخلص فعبر حيث قال في مقدمة كتابه تحفة الأعيان : «لايخفى على عاقل ان علم التاريخ مما يعين على

الاقتداء بالصالحين ويرشد الى طريقة المتقين، لأن فيه ذكر من مضى من صالح وطالح، فاذا سمع العاقل أخبار الصالحين اشتاقت نفسه أن يكون من جملتهم، واذا سمع أخبار الطالحين أشفقت نفسه أن يكون من جملتهم فتراه يقتفي أثر من صلح ويتجنب أحوال من طلح فيجاهد نفسه حق الجهاد فيستحق من الله العون والتوفيق».

لاشك أن ما اعتقده نور الدين السالمي أن علم التاريخ يعين على الاقتداء بالصالحين فذكر الصالحين يصقل المؤمنين ويزيدهم تعلقاً بالسلف الصالح، فيكون أصدق داعية إلى الله تعالى ويرشد الى الأعمال الصالحات.

وبالجملة اذا نظرنا الى التاريخ نجد أنه لاغنى عنه في معظم الأحوال الدينية والدنيوية. فقد جاء في جواهر الأدب لأحمد الهاشمي «التاريخ هو معرفة أخبار الماضين وأحوالهم من حيث معيشتهم وسياستهم واعتقادهم وأدبهم ولغتهم».

وجاء أيضاً عن الشيخ العلامة سالم بن حمود السيابي في(عمان عبر التاريخ) :

«ولايخفى أن التاريخ مرآة تتجلى فيها أحوال الأمم أخلاقاً وأعمالاً وعواطف ومكارم وغلظة وشدة والتاريخ خازن هذه الأحوال بعد استجلائها وكشف حقائقها».

وتلبية لنداء الواجب وتصديقاً لكشف الحقائق لقد جاب نور الدين السالمي الفيافي والقفار وتنقل شرقاً وغرباً طلباً لكتاب أو لصحيفة أو حتى لورقة واحدة ليصل الى ماكانت تتوق نفسه اليه من ابراز لسيرة السلف الصالح واظهار لتاريخ عمان في ثوب جديد شامل وكامل ووافي، ولكن كانت هناك صعوبة قد اعترضت مؤرخنا ألا وهي شح المادة وقلة من طرق هذا الباب من قبل حيث قال معللاً تلك الصعوبة « مع قلة المادة في هذا الباب، اذ لم يكن التاريخ من شغل الأصحاب، بل كان

اشتغالهم باقامة العدل وتأثير العلوم الدينية وبيان ما لابد منه للناس أخذا بالأهم فالأهم ولذلك لاتجد لهم سيرة مجتمعة ولا تاريخاً شاملاً».

وبالرغم من قلة المادة المكتوبة وصعوبة الاتصال في ذلك الوقت فقد استطاع نور الدين السالمي بعد جهد وعناء أن يخرج ويبرز لعمان أنصع صفحاتها الضاربة في أعماق الماضي والتي كاد يطويها الدهر والتي كانت من المؤكد لصارت في طي النسيان ولجهلنا كثيراً عن ماضينا لولا أن مؤرخنا أماط اللثام عن جذور ماضي عمان التليد. الذي جعل منه مؤرخاً وكاتباً موثوقاً نقل عنه الكثيرون من المؤرخين الذين أتوا من بعده.

إن الهدف من هذا الجهد المتواضع هوابراز جانب واحد من كثير واظهار موهبة واحدة من عدة مواهب تميز بها نور الدين السالمي، لقد طرق نور الدين السالمي أبواباً عدة في فنون العلم وسأقتصر هنا على موهبة الجانب التاريخي فقط حسبما جاء في عنوان البحث.

ولقد تم ترتيب هذا البحث كالآتي: نسب نور الدين السالمي ـ مولده وحياته ـ منزلته العلمية ـ وبعد ذلك سبب كتابته للتاريخ ويليه أهمية كتابه المسمى بتحفة الأعيان ، ومن ثم منهجه في كتابة التاريخ وبعض الآراء التي قيلت في منهجه، ويلي ذلك المصادر التي استقى منها مؤرخنا كتاباته، وأخيرا وفاته.

اسمه ونسبه :

هو العميد المحقق المجتهد المطلق الولي نور الدين عبدالله بن حميد بن سلوم بن عبيد بن خلفان بن خميس السالمي وجاء في اسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان للشيخ العلامة سالم السيابي بأن السوالم من نزار وهم قوم من بني ضبة بن اد بن طابخة من بني بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. ويقطن السوالم في المناطق الشرقية والغربية والداخلية والباطنة من عمان وتعتبر الحوقين المنازل القديمة لهم.

مولده وحياته:

ولد نور الدين ببلد الحوقين وهي بلدة من أعمال الرستاق وبها منازل قومه وأهله ونشأ بها وقرأ القرآن العظيم عند والده رضي الله عنهما. وفي السنة الثانية عشرة من عمره كف بصره ـــ رحمه الله ـ فمنحه الله ذاكرة قوية في الحفظ حيث لايكاد يسمع شيئاً إلا وعاه فكان في منتهى الذكاء والفطنة وقد جاء في نهضة الأعيان للوالد محمد بن عبد الله السالمي أن نور الدين حفظ وهو ابن أربع أشهر أو دونها وهذه منحة أودعها الله فيه.

ومن أجل طلب العلم خرج نور الدين السالمي من الحوقين الى الرستاق فتتلمذ للشيخ راشد بن سيف اللمكي عالم الرستاق ونواحيها في ذلك الوقت وتتلمذ أيضاً على الشيخ عبد الله بن محمد الهاشمي فكان أحد شيوخه الفضلاء، ثم هاجر الى الشرقية سنة ١٣٠٨ هـ لما سمع من أخبار الشيخ صالح بن علي الحارثي، فعرض عليه الشيخ صالح أن يستوطن القابل فامتثل أمره فلازمه فكان الشيخ صالح أحد شيوخه الذين أخذ عنهم العلم .

ولما توفي الشيخ صالح عاضد بعده ابنه الشيخ عيسى بن صالح، وكان رضي الله عنه شديد الغيرة في ذات الله تعالى لاتأخذه فيه لومة لائم يقول الحق وينطق بالصدق مشهود له بالبسالة والصلابة وقوة العزيمة مشتغلاً بالرد على من خالف ملة الإسلام مشغول البال بأمن الأمة الإسلامية يفرح ويبتهج بما ينفعها شديد الغيرة عليها يحزن لتفرقها ويكتئب اذا أصيب أحد من الأمة الإسلامية ولو كان في أقصى الأرض.

كان رضي الله عنه خطيباً منطيقاً يرتجل الخطب الطوال في المحافل والمجامع والمناسبات الدينية وغيرها، وكان حريصاً كل الحرص على وحدة الأمة الإسلامية كثير السعي في اصلاح ذات البين وكان يتخذ أسلوب الترغيب والترهيب منهجاً للاقناع والاستمالة وقد أظهر من بلاغة البيان وفصاحة اللسان ما عجز عنه الكثيرون.

منزلته العلمية :

يعتبر نور الدين السالمي أحد أقطاب الأمة المجتهدين محققا جليلاً للمنقول والمعقول معروفاً بغزارة العلم والاجتهاد واليه انتهت رئاسة العلم بعمان في زمانه ويظهر ذلك واضحاً من تاليفه الكثيرة في مختلف فنون العلم كالشرع والفقه واللغة والأدب وغيرها، بدأ التأليف بالرستاق سنة ١٣٠٥ هجرية وكان سنه في ذلك الوقت سبع عشرة سنة، ومن أشهر مؤلفاته أنوار العقول ـ بهجة الأنوار ـ مشارق أنوار العقول ـ معارج الآمال ـ جوهر النظام وتحفة الأعيان بسيرة أهل عمان.

قدم اليه الأخيار للنهل من فيضه والتزود بالمعرفة والعلم النافع فوفد اليه التلاميذ من سائر الأرجاء وقد تنوعت مدرسة السالمي في تقديم المادة العلمية فلم تقتصر على منهج معين أو مادة واحدة بل تعددت وتشعبت المناهج وتعددت المواد وشملت سائر فنون العلم، فكان على المتعلم أن يستسقي منها ما تمليه عليه رغبته ومقدرته واستعداداته.

فقد تخرج على يديه علماء أتقياء كانت لهم مواقف مذكورة ودور مهم في نشر العلم في أرجاء عمان. فكان هو القلب النابض الذي نفخ فيهم روح المعرفة فأصبحوا شعلة من نور أضاءت عمان وردت اليها الحياة بعدما كانت تعج في دياجير الجهل والظلام.

ومن أشهر من تخرج على يديه الامام سالم بن راشد والإمام محمد ابن عبدالله الخليلي والشيخ عيسى بن صالح والشيخ عامر بن خميس المالكي وأبو زيد عبد الله بن محمد بن رزيق الريامي.

ولم تقتصر همة نور الدين السالمي على التدريس والتأليف بل تعدت ذلك فقام بالاتصال بالعلماء من خارج عمان كالمغرب ومصر وغيرهما وكانت بينه وبينهم مراسلات ومكاتبات واستفتاءات ولاسيما الإمام القطب محمد بن يوسف اطفيش ـ رحمه الله ـ وقد ذكر الوالد محمد في نهضة الأعيان أن الإمام القطب قام بتدريس تلاميذه في مؤلفات نور الدين السالمي حيث أعجب بها وأثنى على مؤلفها.

سبب كتابته للتاريخ:

كانت هذه نبذة بسيطة عن نور الدين السالمي، والآن نأتي الى السبب الذي دعا مؤرخنا للشروع في كتابة التاريخ، فقد قال نور الدين السالمي واصفاً ذلك في كتابه تحفة الأعيان « وحيث كان العدل وسيرة الفضل في عمان أكثر وجوداً بعد الصحابة رضي الله عنهم من سائر الأمصار تشوقت نفسي الى كتابة ما أمكنني الوقوف عليه من آثار أئمة الهدى ليعرف سيرتهم الجاهل بهم، وليقتدي بهم الطالب لآثارهم ... ».

العدل والاستقامة وسيرة السلف الصالح كانت على رأس قائمة الدوافع التي دعت مؤرخنا ليبرز لنا هذا العقد المتسلسل من الأحداث الهامة التي تعاقبت على عمان في مختلف الأزمان، وقد كان في نية مؤرخنا أن يكتب سيرة تجمع أحوال المذهب الأباضي وذكر أهله أينما كانوا ولكن كان نداء الرحمن أسبق ومعاجلة الأيام أسرع من بلوغ المآمول فكان له من الله أجر مانوى في شروعه.

أهمية كتاب التحفة:

يعتبر كتاب تحفة الأعيان مصدراً مهما في تاريخ عمان منذ عصر الجاهلية وحتى بدايات القرن العشرين حيث قال مؤرخه «.. وكتبت ما أمكنني أن أكتبه من أحوال عمان وأئمتها من أول أمر العرب فيها الى آخر ما انتهى الي علمه من أخبار أهلها الماضين ... ».

وتبدو أهمية التحفة من المصادر التي اعتمد عليها نور الدين السالمي فقد تتبع بنفسه في استقصاء المصادر والموارد وجاب أقاليم عمان بحثاً عن السير والأخبار ويظهر ذلك من اشارته لمجموعة من هذه المصادر حيث قال: « ... فتتبعت ما أمكنني تتبعه من كتب السير والآثار والتواريخ ».

وقد أشاد الدكتور فاروق عمر بأهمية التحفة في كتابه المسمى مقدمة

في دراسة مصادر التاريخ العماني حيث قال: « يعتبر كتاب التحفة تاريخاً حوليا لعمان حتى سنة ١٩١٠ م وهو بذلك يكمل كتاب الفتح المبين ويعتبر مصدراً أساسياً للفترة من سنة ١٨٥٦ ـ ١٩١٠م ».

لقد رتب نور الدين السالمي كتابه التحفة في عدة أبواب والذي يتكون من جزأين **فقد تناول في الجزء الأول التعريف بعمان** وفضائل أهلها، وهجرة قبيلة الأزد اليها بعد انهيار سد مأرب والأثر السياسي الذي نجم عن ذلك ثم يشير إلى طرد العرب للدخلاء الفرس من عمان قبل الإسلام ثم يتوسع في تناول فترة مالك بن فهم وأولاده من بعده وانتقال الحكم بعد ذلك الى بني معولة بن شمس. ويتطرق الى اسلام أهل عمان وحركة الردة ويخصص نور الدين السالمي باباً في عقيدة أهل عمان والسلف الذين أخذ عنهم أهل عمان الأباضية . ويشير الى منازعة أهل عمان الدولتين الأموية والعباسية من أجل نيل استقلالهم السياسي ومن ثم ظهور امامة الجلندى بن مسعود وسقوط الإمامة الأباضية الأولى ويفرد نور الدين السالمي باباً لحكم العباسيين والبويهيين والقرامطة ثم يتكلم عن انتقال الحكم الى بني نبهان.

أما في **الجزء الثاني** من التحفة فقد تناول مؤرخنا عهدي اليعاربة وآل بوسعيد ويصف عهد اليعاربة بفضائل الأئمة السابقين الذين كان لهم دور فعال في الداخل وصراعهم لتخليص بلادهم من النفوذ الخارجي. وقد تناول مؤرخنا باطناب عهد الامام ناصر بن مرشد اليعربي وأشار الى خصائصه وفضائله وتأييد العلماء له ومن ثم يعدد فتوحاته.

ثم يستطرد نور الدين السالمي فيتناول أئمة اليعاربة الواحد بعد الآخر. ويشير مؤرخنا الى الضعف الذي حدث في الفترة الأخيرة من حكم اليعاربة وانقسام أهل عمان الى هناوية وغافرية وأثر هذا التمزق على المجتمع العماني مما أدى بالبلاد الى الوقوع ضحية للتدخل الأجنبي ويعزو مؤرخنا الى هذا التمزق انهيار وسقوط الامامة في عمان.

فكان لابد من منقذ جديد ليخلص عمان من تلك المحنة وقد تمثل هذا الزعيم القومي في شخصية جديدة من قبيلة البوسعيدي هو الإمام أحمد ابن سعيد البوسعيدي مؤسس الأسرة المالكة في عمان.

ويشير نور الدين السالمي أيضاً الى الصدام مع البرتغاليين ومن بعدهم الانجليز ويتناول توسع سلطة الإمامة الأباضية في شرقي افريقيا وفارس وينهي نور الدين السالمي كتابه التحفة بأحداث سنة ١٣٢٨ هـ ١٩١٠م.

منهج نور الدين السالمي:

مما لاشك فيه أن هناك مناهج عديدة للبحث التاريخي ولكتابة التاريخ فقد أظهر مؤرخنا مقدرة فائقة في انتقاء مناهج البحث التاريخي حيث اتبع طريقة الطبري واليعقوبي وغيرهم من المؤرخين الأوائل في سردهم الروايات التاريخية بأسانيدها تاركين للقارىء الحكم عليها. وقد تميز السالمي بالحرص في انتقاء الروايات التاريخية حيث قال الدكتور فاروق عمر في كتابه مقدمة في دراسة مصادر التاريخ العماني «فاننا نلاحظ السالمي قد أظهر دقة وتمييزاً في اختياره الروايات التاريخية» ووصفه أيضاً بالاعتدال دون التحامل على مخالفيه في الرأي حيث قال: «... ومن جهة ثانية فان السالمي كان من الأباضيين المعتدلين في المشادة التي حدثت في عمان بعد سقوط الإمامة الأباضية الثانية ولذلك فهو ينكر التطرف».

وقد حرص مؤرخنا في كتابه على الإعتماد على موارد ومصادر موثوق بها ويذكر بعضها أثناء سرده للحوادث والروايات التاريخية مما يعزز صدقها وصحتها.

فقد أشاد الدكتور فاروق عمر في مرجعه السابق بهذه الميزة فقال: «رغم أن السالمي يعتمد على الازكوي في أخباره عن عمان في القرون الأولى إلا انه يتميز عن الأزكوبي باشارته الى بعض موارده ورواته...».

وحيث ان النقد من أهم مناهج البحث التاريخي فقد بادر نور الدين السالمي بانتقاد بعض المصادر التي استقى منها رواياته التاريخية، فقد ذكر ذلك الدكتور فاروق عمر عندما تحدث عن منهج السالمي في كتابة التاريخ حيث قال : «إن السالمي يعتمد اعتماداً كبيراً على ابن رزيق ويوليه ثقة ربما أكثر مما يجب ولكن برغم ذلك فان السالمي ينتقد ابن رزيق ذلك لأنه يأخذ الأخبار أحيانا من ألسنة العامة ومن الناس شفاهاً، كما وانه يورد روايات أخرى ثم ينهيها بقوله: «وهو مخالف كلام ابن رزيق المتقدم والله أعلم».

وأخيراً وليس آخراً فقد اتخذ مؤرخنا الواقعية منهجاً في أسلوب كتابته فقد حرص نور الدين السالمي في كتابة رواياته التاريخية بعيداً عن الخرافات والمبالغات فقد قال الدكتورفاروق عمر واصفاً واقعية مؤرخنا: «فان روايات السالمي مهمة في تكوين صورة أقرب الى الواقع للإمام ناصر بن مرشد خاصة وأن روايات ابن قيصر عن سيرة هذا الإمام فيها مبالغات عديدة، فمقارنة روايات ابن قيصر بروايات السالمي وغيره تعطينا صورة أوضح عن تلك الفترة من حكم اليعاربة».

لقد تتبعنا سوياً منهج السالمي وما تميز به عن غيره من المؤرخين وحسبنا هنا أن نورد اعجاب الدكتور فاروق عمر بمنهج نور الدين السالمي حيث قال في مرجعه السابق «ان ذلك كله يبرز لنا أهمية التحفة بين كتب التواريخ المحلية العمانية بسبب دقته في نقل الروايات التاريخية واشارته الى بعض مصادره ومحاولته نقد تلك المصادر واظهار الاختلاف بينه وبينهم واعتداله في آرائه وانكاره للتطرف الذي تبنته مدرسة الرستاق الأباضية».

ومما يؤخذ على السالمي أو غيره من المؤرخين السابقين عدم التطرق الى الصلات التاريخية التي ربطت عمان بالعالم في ذلك الوقت والاهتمام فقط بالأحوال الداخلية وهي ملاحظة يذكرها الكثير من المؤرخين المعاصرين.

فانني أرى أن هذا المأخذ لاينطبق على مؤرخنا نور الدين السالمي فقد كان ينوي كتابة تاريخ موسع عن أحوال المذهب وأهله حيث قال في كتابه التحفة « وقد كنت عزمت أن أجمع سيرة تجمع أحوال المذهب وذكر أهله أينما كانوا من الحجاز والعراق وعمان واليمن والمغرب وخراسان وغيرها من عهد الصحابة الى عصرنا هذا. ثم رأيت أن ذلك شيء يطول وخشيت معاجلة الأيام قبل تمام المأمول فعجلت للناس السيرة العمانية وإن كان في الأجل فسيحة جمعت ان شاء الله باقي السيرة على حسب ما ذكرت..»

ولو افترضنا انه كتب وأكمل هذه السير التي كان ينوي كتابتها لكان قصر بالضرورة تناول الحوادث والعلاقات التي ربطت عمان بتلك الأقاليم سواء المجاورة أو البعيدة وما أعتقده هنا أن نور الدين السالمي اقتصر تحفة الأعيان على الأحوال الداخلية لعمان ولم يهتم كثيراً بصلاتها الخارجية هو عدم رغبته في تكرار نفس الحوادث. حيث كان ذلك بالضرورة لورود ذكر العلاقات والصلات التي ربطت عمان بغيرها في السير السابقة. فلذلك كرس جهده لاخراج السيرة العمانية بأسرع وقت لخوفه من معاجلة الأيام له قبل أن تجتمع هذه السيرة في قالب متكامل وتاريخ شامل.

مصـــادره :

تميز نور الدين السالمي بأسلوبه في عرض الوقائع التاريخية فهو ينقل الروايات ويعرضها في ترتيب منطقي بدقة تامة ؛ ولقد كان لاشارته الى مصادره وموارده ورواته في كتابة رواياته أكبر دليل على اعتباره مؤرخاً موثوقاً به اعتمد عليه الكثير من المؤرخين الذين جاءوا من بعده. ومما لاشك فيه أن نور الدين السالمي اعتمد في كتاباته التاريخية عن عمان على مؤرخين أقدمين محليين وغير محليين من هؤلاء المؤرخين ابن خلدون والمسعودي وابن الأثير والجاحظ وعلى مؤرخين

كالعوتبي والقلهاتي والأزكوي والمعولي وابن رزيق وابن قيصر. بالاضافة الى رجوعه الى المصادر القديمة في السير العمانية السابقة لهؤلاء مثل أبي المؤثر وأبي قحطان وأبي الحواري ومحبوب بن الرحيل ومحمد بن محبوب ومنير بن النير الجعلاني فاستطاع بذلك أن يكون له ثروة تاريخية ضخمة مكنته من وضع كتابه العظيم القيم تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان.

ومن المحل بمكان أن نضع هنا شهادة أحد الباحثين الفطاحل من وطننا العربي وهو الدكتور فاروق عمر حيث قال عن التحفة:

« لقد كتب السالمي العديد من الكتب في الفقه والتاريخ ولكن كتاب التحفة يبقى أهم عمل تاريخي له وقد جعل هذا الكتاب من السالمي مؤرخاً لتاريخ عمان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي وبداية القرن العشرين وخليفة ابن رزيق في سلسلة مؤرخي عمان المحليين. وسيبقى تاريخه متميزاً برويات جديدة لم تظهر في كتب المؤرخين الذين سبقوه ».

مرضـــــه ووفاته رضي الله عنه:

لقد كان نور الدين السالمي في رحلة علمية الى الحمراء لمناظرة الشيخ ماجد بن خميس العبري لاختلاف في مسائل فقهية حدثت بينهم. وأثناء سيرهم اعترض نور الدين السالمي غصن أمبا وأسقطه على ظهره من راحلته حيث لم يبصره لأنه كان ضريراً فبقى في الحمراء مريضاً ومن ثم نقل الى بلدة تنوف من أعمال نزوى فزاد به المرض فتوفاه الله بعد العتمة من ليلة الخامس من شهر ربيع الأول من سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة وألف. وكان عمره رضي الله عنه ثمانية وأربعين سنة وأشهراً، بعدما كرس حياته في خدمة العلم والوطن وترك شعلة أضاءت الدرب

سنين طـويلة أمـام الباحثين والمتعلمين والمؤرخين وألهم العمانيين نـداء الواجب وأنـار لهم طريق العمل المستمر بهمـة وعزيمة. فـرحم الله نور الدين السالمي وأسكنه فسيح جناته.

ودفن ببلدة تنوف تحت سفح الجبـل الأخضر، فأصيبت عمان بموته مصابـاً عظيماً حيث كان رضي الله عنه قدوة في سيـاسة الدنيـا والدين. ولقد عبر عـدد من الشعراء عن مدى الفجيعـة التي حلت بعمان بأسرها حيث قال شـاعر العـرب أبو مسلم ناصر بن عـديم الرواحي راثيـاً نور الدين السالمي في عدد من المراثي منها:

نكـس الأعلام ياخـير المـلل — رزىء الإسلام بالخطب الجلل
يارجال الدين لم يـنزل بنا — فـــادح أعظـــم مما قد نـزل
يارجال العلم أودى قطبكم — بل جمـيع العلم أودى والعمل

وهكذا قد ألقى نور الدين السالمي الضوء على ما كانت تزخر به عمان من أمجاد تليدة وفتوحات مجيدة وسياسة حميدة.

وأنهى مؤرخنا حياته تـاركاً ثروة جليلة في فترة وجيزة والتي جعلت منه مؤرخاً وكـاتباً جليلاً ومرجعاً يقتدى بـه والتي ستبقى مناراً زاخراً يضيء للأجيال والباحثين الدرب مدى الأزمان.

هذا هو السالمي المؤرخ الذي تميزت كتاباته بالدقة والواقعية والأمانة والمنطقية وهـو لاشك من الأقطاب الذين يشـار اليهم بالبنـان من الذين أنجبتهم عمان.

فهـــرس

الموضـــوع	رقم الصفحة
أولاً الكلمات :	
١ ـ كلمة معالي الشيخ محمد بن عبدالله بن زاهر الهنائي	
وزير الزراعة والثروة السمكية . . . راعي الندوة	٧
٢ ـ كلمة سعادة سالم بن محمد الغيلاني	
رئيس المنتدى الأدبي	٩
٣ ـ كلمة الشيخ سليمان بن محمد السالمي	١٣
ثانياً : القراءات :	
١ ـ القراءة الأولى : منهج السالمي في مؤلفاته الفقهية	
محاضرة سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي . . . مفتي عام السلطنة	١٧
٢ ـ القراءة الثانية : المنهج العلمي في مؤلفات السالمي التاريخية	
اعداد فضيلة الشيخ اسماعيل بن علي الأكوع	٣٣
٣ ـ القراءة الثالثة : السالمي المجتهد المجدد	
اعداد فضيلة الشيخ ناصر بن محمد المرموري	٤٣
٤ ـ القراءة الرابعة : السالمي اديباً ولغوياً	
اعداد / د. إبراهيم بن أحمد الكندي	٦٥

٥ ـ القراءة الخامسة : السالمي فقيهاً ومحققاً	
اعداد / د. صالح بن أحمد الصوافي	٨٩
٦ ـ القراءة السادسة : جهود السالمي في خدمة الأدب في عمان	
اعداد / د. أحمد درويش	١١٥
٧ ـ القراءة السابعة : الجوانب التربوية والتعليمية في مؤلفات السالمي	
اعداد / أحمد بن سليمان الكندي	١٢٥
٨ ـ القراءة الثامنة : اطلالة على شعر نور الدين السالمي	
اعداد / سالم بن علي بن سالم الكلباني	١٣٣
٩ ـ القراءة التاسعة : السالمي مؤرخاً	
اعداد / حمدون بن سليمان بن سالم السالمي	١٤٣

ما ورد في هذا الكتاب لا يمثل بالضرورة
راي المنتدى الأدبي

حقوق الطبع محفوظة للمنتدى الأدبي
وزارة التراث والثقافة

رقم الايداع : ١ / ٢٠٠٣م